د. توفيق ابو الرب
جامعة اربد الاهلية

من العربية وآدابها

دار الامــــل للنشر والتوزيع
اربد - الاردن - ص.ب ٤٦٩ - تلفون ٢٧٦١٧٤

د. توفيق ابو الرب
جامعة اربـد الاهليـة

مـن
العربية وآدابها

دار الامـــل للنشر والتوزيع
اربد - الاردن - ص.ب ٤٦٩ - تلفون ٢٧٦١٧٤

تنبيه

حقوق الطبع محفوظة
© [الأستاذ الدكتور توفيق أبو الرب]
2025
تم تسجيل هذا العمل ومحتوياته وحمايته بموجب قوانين حقوق الملكية الفكرية في المكتبة الوطنية الأردن -عمان
رقم الكتاب الدولي .
(ISBN): 978-3-1257-9177-0

"هذا الكتاب مرخص بموجب **رخصة المشاع الإبداعي - النسبة 4.0 (CC BY 4.0).**
يمكنك نسخ الكتاب أو مشاركته أو الاقتباس منه، بشرط ذكر اسم المؤلف.
لمزيد من التفاصيل، زر الرابط:
https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/"



الفهرس

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا كتاب لا يتوجّه الى الخاصة من القراء، ولا الى العامّة منهم، ذلك أنه محاضرات في اللغة العربية وآدابها، قد أُعدتْ لتلقى على طلاب الجامعة، وهي مقسومة قسمين: أما قسم فيشتمل على موضوعات لغوية، وقد رأيت أن أعالجها بأسلوب يرتفع قليلاً عن الأسلوب الذي تعوّده طلابنا في المرحلة الثانوية، وذلك حتى يدركوا طرق علماء اللغة القدامى في الاستدلال واساليبهم في تقعيد القواعد، وحتى يفرقوا بين ماهو شاهد للاحتجاج، وماهو مثال للاستئناس.

وأما القسم الثاني فيشتمل على نصوص قديمة وحديثة، وقد رأيت أن أترجم لأصحابها، وأن أتناولها بالتحليل والتعليق، وأن أرتبّها زمنياً، وقد روعي في اختيارها سلامة اللغة وأصالة التعبير، مع توفر عناصر المتعة والفائدة، ثم اختتمتها بنص شعري اجتهدت في أن يملأ النفس قوة وحماسة، وأن يُشعر القارىء بجمال الشعر العربي القديم، وذلك كي مايكون مسك الختام.

... وبعد... فالله أسأل أن أكون قد وفّقت الى تحقيق ما ندبت له نفسي من هدف، إنه ولي التوفيق.

د. توفيق ابو الرب

جامعة اربد الأهليه.

الباب الأول
«موضوعات لغوية»

* المعاجم في العربية
* الهمزة في العربية

أ- همزة الوصل

ب- همزة القطع

جـ. الهمزة في وسط الكلمة

د- الهمزة المتطرفة

* الفعل
* الفاعل
* نائب الفاعل
* المفعول به
* المفعول المطلق
* المفعول معه
* المفعول فيه
* المبتدأ والخبر
* العدد

المعاجم في العربية

* حين نصادف لفظاً عربياً، لابد لنا من أن نرجع الى أحد المعاجم العربية الموثوقة لمعرفة معناه. والمعاجم نوعان : معاجم ألفاظ، ومعاجم معان.

أ. **معاجم الألفاظ:** وهي معاجم توضع لبيان معاني الألفاظ التي تكون فيها مرتبة بطريقة من الطرق، وقد تحرص بعض المعاجم على تقديم فوائد أخرى كضبط الكلمات، والاشارة الى تطور المعاني بين عصر وآخر، والى أعلام الناس والقبائل والأماكن، وقد تتضمن كثيراً من الأشعار والحكايات القديمة، ولذا تصلح أن تكون مصادر للبحث من الناحية اللغوية والأدبية .

... ومن أشهر المعاجم القديمة :-

١. معجم لسان العرب : ومؤلفه محمد بن مكرم بن منظور المصري، عاش معظم حياته في مصر، توفي في القاهرة سنة ٧١١هـ، ومعجمه مطبوع في مجلدات عدة، وهذا المعجم ضخم، وأشبه بالموسوعة اللغوية والأدبية، ذلك أن ابن منظور يفيض في شرح معاني كل لفظ، ويورد الأشعار الكثيرة المتعلقة به.

أما الألفاظ فيه فهي مرتبة، بحسب أواخر الكلمات المجردة من الحروف الزائدة، وبحسب حروفها الأولى ، وقد قسم معجمه الى أبواب مخصصة لأواخر الكلمات المجردة، وقسم كل باب الى فصول مخصصة لأوائل الحروف في هذه الكلمات، متدرّجاً في ترتيب هذه الابواب والفصول فيها بحسب الترتيب الأبجدي للحروف في العربية .

* طريقة أستعماله:

حين نريد معرفة معنى للفظ عربي غريب علينا، نقوم أولاً بتجريده من الحروف الزائده، ثم ننظر الى الحرف الأخير في هذا اللفظ المجرد، ونفتح بابه في معجم اللسان، ثم ننظر الى الحرف الأول في هذا اللفظ ايضاً، ونفتح فعله داخل الباب نفسه، ثم نستخرج معناه.

مثال: احْرنْجمتِ الإبِل.

إذا أردنا أن نستخرج معنى كلمة "احر نجم" في الجملة، نقوم أولاً بتخليصها من الحروف الزائدة، فتصبح " حَرجَمَ "،، وحينئذ نفتح باب الميم ففصل الحاء ونستخرج معناها، فإذا هو!

تجمعت بعضها على بعض (أي الإبل).

* ميزات المعجم:

يمتاز معجم اللسان بميزات هي :

١- غزارة مادته وإحاطته بأكثر ألفاظ العربية.

٢- إشارته الى المصادر التي أفاد منها.

٣- التفصيل والاسهاب في ذكر الوجوه اللغوية والروايات المتعددة، المتعلقة بالألفاظ.

٤. إيرادة للشواهد الشعرية والنثرية التي تصلح للأحتجاج بها .

٢. معجم القاموس المحيط : وقد وضعه مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الذي أتى بعد ابن منظور، فتأثر معجمه "لسان العرب"وطريقته في تقسيم المعجم الى أبواب بحسب أواخر الكلمات المجردة، وتقسيم كل باب الى فصول بحسب أوائل حروف هذه الكلمات.

الفيروز آبادي حرص أن يجنّب معجمه عيوب معجم ابن منظور،
الاختصار في ايراد الشواهد الشعرية والروايات النثرية، مع الإبقاء
حاطة بمعظم الفاظ اللغة، مما مكن معجمه المختصر الذي طبع في
جلدات من الشيوع أكثر، حتى أصبح اسم هذا المعجم يطلقه الكثير
معجم قديم أو حديث، عربي أو أجنبي، فيقولون عنه : " قاموس" وهذا
طاء الشائعة الآن التي ينبغي التنبّه إليها.

معاجم العربية الحديثة: وقد ظهرت في عصر النهضة العربية
معاجم ألفاظ، ويلاحظ أنها لا تتأثر بالمعاجم القديمة من حيث
أبواباً وفصولاً، بحسب ما رأينا في السابق، ولكنها تتأثر بالمعجم
الحديث، الذي يرتب الألفاظ بحسب أوائل حروفها فقط، ومن أشهر
جم العربية الحديثة:

م الوسيط: وقد اصدره المجمع اللغوي في القاهرة في منتصف
ن، واشرف على تأليفه مجموعة من العلماء. والألفاظ في هذا المعجم
سب أوائل حروف الكلمات بعد تجريدها من الحروف الزائدة، وهو
ى أواخر هذه الكلمات.

"المنجد في اللغة والأعلام" الصادر عن المطبعة الكاثوليكية في
تجدّدة، وقد وضعه عدد من رجال الدين المسيحي.

اجم المعاني : وهي المعاجم التي تكون الألفاظ فيها مرتبة بحسب
مما يجعلها مفيدة للكتاب والشعراء والادباء، ومن اشهرها معجم

فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، المتوفى ٤٢٩ للهجرة، ومعجمه مقسم الى ثلاثين باباً كبيراً، كل منها يعرض لمعنى بعينه، وكل باب مقسوم أيضاً الى عدد من الفصول الصغيره.

وفائدة هذا المعجم أنه يفرق تفريقاً دقيقاً بين معاني الألفاظ المتقاربة، وذلك بحسب الاستعمال العربي الأصيل لها، على حين نظن في الغالب أنها واحدة من حيث المعنى، وأنها من المترادفات، فمثلاً نجده يفّرق ين الألفاظ التالية : (رمق، لحظ، لمح" بقوله:" اذا نظر الإنسان الى الشيء، بمجامع عينه قيل (رمق) ، فإن نظر اليه من جانب أذنه قيل " لحظ" فإن نظر اليه بعجله قيل "لمح".

ولا ريب أن هذا المعجم يدعم حجة ما يؤكده بعض اللغويين العرب والأعاجم وهو أنْ لا ترادف في ألفاظ اللغة، وأن لكل لفظة خصوصيتها الموحية المتميزة.

الهمزة في العربية

تقسم الهمزة ثلاثة أقسام بحسب ، موقعها في الكلمة وهي:

اولاً : **الهمزة في اول الكلمة :**

ترسم الهمزة في أول الكلمة ألفا سواء أكانت همزة وصل أم قطع، وهي نوعان:

١. **همزة الوصل** : وهي التي تلفظ في أول الكلام ولا تلفظ في وسطه، وتكتب الفا في الموضعين: استفهام، المعنى، باستفهام المعنى .....

ولها مواضع محددة في الكتابة هي:-

*** في الأفعال:**

في أول الأفعال التالية : أمر الثلاثي(اِضربْ، اكتُبْ)، وماضي الخماسي (اعتدى، اعتاد)، وماضي السداسي (استقامَ، اِستقلَ) ، وأمر الفعل الخماسي (اِقتَدِ، اِرتَقِبْ)، وأمر الفعل السداسي (اِستَعِدّ) ، استَقبِلْ).

*** في الأسماء :**

- في أول مصادر الفعل الخماسي والفعل السداسي(اِعتداء، ارتقاب، اِستعداد).

- في الأسماء التالية: ابن وابْنة، وابْنان، وابْنتان، واثْنان، واثْنتان، وامْرؤ، وامْرأة، واسْم، واسْت، وأمرءان، وامرأتان، واسْمان.

* **في الحروف:**

ولا تكون الا في (أل) التعريف متصلة مع الاسم : المدرسة، الولد....

مواضيع حذفها: تحذف همزة الوصل في المواضع التالية:

١- من كلمتي (ابن وابنة) اذا وقعتا بين علمين وفق الشروط التالية:

أ. أن تكونا مفردتين غير مثناتين... عمرُ بن الخطاب ... عائشةُ بنةُ أبي بكر.

ب. أن يكون العلم الأول غير منوّن، فاذا نوّن رسمت الألف، كقولك جوابا للسؤال: من خالد؟

(خالد ابن الوليد) .

جـ. الا تكونا خبرين للعلم الأول، فان كانتا ثبتت الألف: ابنُ مَن معاويةُ؟ معاوية ابنُ ابي سفيان.

د. ألا تقعا في أول السطر .

هـ. ألا يفصل بينهما وبين العلم الأول فاصل فان فصل ثبتت الألف: عمرُ هو ابن الخطاب.

٢- من كلمتي (ابن وابنة) اذا دخلت همزة الأستفهام : أبْنُك هذا؟ ابنةُ خالد هذه؟

٣- من كلمتي (ابن وابنة) جوازا اذا دخلت عليهما ياء النداء : يابْن (ابن)، يابْنة (ابْنة).

٤- من كلمة (اسم) في الأحوال التالية:

أ. أذا دخلت عليها همزة الاستفهام : أسمك أحمدُ؟

ب.اذا كانت (اسم) في البسملة الكاملة والتي لم يُذكر متعلقها من فعل وشبهه:

بسم الله الرحمن الرحيم والا كتبت الألف: باسم الله ، وباسمك اللهمّ، نبدأ باسم الله الرحمن الرحيم.

٥- تحذف همزة الوصل من أل التعريف:

أ. اذا دخلت عليها همزة الاستفهام : ألعلمُ أفضل من المال؟

ب. اذا دخلت عليها لام الجر: هذا الكتابُ للطالب.

ج. اذا دخل عليها لام الابتداء المفتوحة: للعلمُ خيرٌ من المالِ.

٦- تحذف همزة الوصل من الأفعال والمصادر التالية:

أ. من الفعل المضارع : استغفرُ، يستغفرُ، نستغفرُ...

ب. من الأفعال الماضية الخماسية والسداسية اذا دخلت عليها همزة الاستفهام: أستغفرت لأبيك؟ أعتدت على التكبير؟

جـ. من مصادر الخماسي والسداسي بعد همزة الاستفهام :

استقبالك كان حافلاً؟ أضطراراً فعلت هذا؟

همزة القطع : وهي الهمزة التي تكتب وتلفظ في أول الكلام ووسطه، وتكتب فوق الألف اذا كانت مفتوحة و مضمومة، وتحتها اذا كانت مكسورة : أنا أستاذ، إلقاء.

ومواضع هذه الهمزة في أول كل كلمة لم ترد في مواضع همزة الوصل : أحمد ، أكرم، إكرام..

همزة القطع وهمزة الاستفهام والنداء .

اذا دخلت همزة الاستفهام او همزة النداء على همزة قطع في أول الكلمة جاز أن تكتبْ هذه على حرف من جنس حركتها : أحمد ، أؤستاذ، أئلقاء.

وجاز أن تكتب على الألف او تحتها : أأحمد ، أأُستاذ ، أإلقاء.

أخطاء شائعة :

يخطيء الطلبة وغيرهم في قراءة الهمزة في اول الكلمة وفي كتابتها:-

١- يقطعون همزة الوصل في وسط الكلام ، ويكثر هذا في همزة (أل) في أول الأسماء.

٢- يثبتون الهمزة كتابة في مواضع همزة الوصل : المدرسة الأبتدائية ، إعتمدوا على الله. والصواب عدم إثباتها(الابتدائية، اعتمدوا.)

٣- يسقطون همزة القطع كتابةً: انى ، امرتهم، الى واذا، والصواب اثباتها : إني ، إلى ..

ثانياً : الهمزة في وسط الكلمة :

• تكتب الهمزة المتوسطة على حرف يناسب أقوى الحركتين : حركتها وحركة ما قبلها، والواو تناسب الضمة والألف تناسب الفتحة والياء او النبرة تناسب الكسرة، وأقوى الحركات الكسرة، يليه الضم، فالفتح ، فالسكون:

- يؤَمّل ، يؤَلف، تؤَجّج، شؤُم، رؤُوس ، أأُوْجَل، مؤلم، تشاؤُب...
- سألَ ، مأهول، رأي، فجأة، يأتي، لألأ، ملأى، متلألِىء، قرأ، يقرأان.
- قُرِىء، مع أصدقائكِ، فئات، لئيم، هائل ، أسئلة، خاطئة، مبدئي..

حالات خاصة بالهمزة المتوسطة:-

١. الهمزة المتوسطة المسبوقة بألف ساكنة تكتب على السطر:

قراءة، عباءة، يتساءَل..

٢. الهمزة المتوسطة المفتوحة و المضمومة المسبوقة بواو ساكنه تُكتَب على السطر:

ضوْءَه، ضوْءُه، سوْءَة.

٣. الهمزة المتوسطة المفتوحة والمضمومة والمكسورة المسبوقة بياء ساكنة تكتب على نبرة:

شيْئُهُ، شيْئَه، شيئِه، فيئه، فيئِه، فيْئُه.

٤. تكتب الهمزة المتوسطة المضمومة المسبوقة بفتح أو ضم أو سكون على الواو، وهذا هو الأصل المتمشي مع القاعدة:

كُؤوس، مسْؤول ، يَؤُوس، رُؤوس، رَؤوف، مَرْؤوس..

ويجوز أن تكتب على نبرة اذا كان ما قبلها يتصل بما بعده :

مسْئول، كئوس، يملَئون...

ويجوز أن تكتب على السطر اذا كان ما قبلها لا يتصل بما بعده :

(رءوس، مرءوس، رءوف).

٥. يجوز أن تكتب الهمزة المتطرفة على ألف قبل واو الجماعة:

يملأون، يلجأون، يرزأون، ولهذه الكلمات صور كتابية أخرى : يملؤون، يملئون، يلجؤون، يلجئون، يرزءون، يرزؤون..

ثالثاً: الهمزة المتطرفة

تكتب الهمزة المتطرفة على حرف يلائم حركة ما قبلها ولا يُلْتَفَت الى حركتها :

مُبْطِئٌ، جَرُؤ، ابتداء، رياء.

– الهمزة المتطرفة المسبوقة بساكن تكتب على السطر عند تنوين النصب والتثنية :

جزءاً، جزءان، رداءان. وتكتب على نبرة اذا كان ما قبلها يتصل بما بعده:

فيئا ، فيئان، بطئاً، بطئان.

– الهمزة المتطرفة عَرَضاً يجوز أن تكتب كالمتوسطة والمتطرفة:

لم يَنْءَ، لم يَنْأ، إنْءَ، إنْأ.

الفعل

الفعل: هو كلمة تدل على حدث مقرون بزمنٍ من الأزمنة الثلاثة، وله أربع علامات:

١. أن تتصل به تاء الفاعل ، نحو " قمتُ" "درستَ"

٢. أن يقبل اتصال تاء التأنيث الساكنه، نحو " قامَتْ، قعدتْ"

– وبهاتين العلامتين تظهر فعلية"ليس"و عسى، إذ يجوز " ليستْ وعستْ" و " لستَ" كقوله تعالى :

" لستَ عليهم بمسيطر.."

– وبعلامة تاء التأنيث الساكنه، يظهر أن " نعم ، وبئس" فعلان. اذ نقول " نعمتْ، بئست"

٣. أن تقبل الكلمة اتصال ياء المخاطبة ، نحو " قومي، اقعدي"

٤. أن تقبل الكلمة نون التوكيد الشديدة أو الثقيلة، أو نون التوكيد الخفيفة، نحو : " واللهِ لتُحاسبنّ على عملك" " واللهِ لتُحاسبَنْ على عملك"

• **انواع الفعل** : وهو ثلاثة أنواع :

١. **المضارع**: وعلامته أن يقبل دخول حرف الجزم "لم" عليه، نحو " لم يَقُمْ، لم يقعدْ" وهو مُعرب ، ويكون مرفوعاً إذا لم يسبقة حرف من حروف النصب: وهي أن، لن، اذن، كي، واذا لم يسبقه حرف من حروف الجزم وهي: لم، لا الناهية، لام الامر، لما، واذا لم يسبقه اداة من ادوات الشرط الجازمة.

٢. **الماضي** : ويتميز بقبول تاء الفاعل، أو تاء التأنيث الساكنه، نحو: "قُمتُ وقامتْ" ويكون مبنياً على الفتح.

٣. **الأمر:** وعلامته أن يقبل نون التوكيد مع دلالته على الأمر ، نحو "قومَنَّ" ويكون مبنياً على السكون إذا كان صحيح الآخر ، أو على حذف حرف العلّة أو نون الأفعال الخمسة

*** شواهد شعرية وامثلة:**

- قال امرؤ القيس في معلقته:

إذا قلت هاتــــي نوّليني تَمايـــــلت

عليَّ هضيم الكشح ريَّا المخلَخلِ[1]

- وقال طرفة في معلقته :

وقوفــاً بها صحبي على مطيّهـــم

يقولـــون لا تهلِكْ أسى وتجلُّـــدِ

- وقال المتنــــبي :

وإذا أتتْــكَ مذمتي مـــن نـــاقص

فهي الشهادة لي بأني كامــــلُ

- وقال شوقي

على اليرموك قف واقرا السلامــــا

وكـــلمَهُ إذا فهــــم الكلاما

****

---

(١) الكشح : منقطع الأضلاع، وهضيم الكشح: ضامر البطن

* **تنبيه مهم:**

لاحظ أن ثمة فرقاً بين الشاهد اللغوي والمثال: أما الشاهد فهو كلام يُستدل به على صحة القاعدة اللغوية ، او تُستقى منه هذه القاعدة، ويكون إمّا آية قرآنية كريمة، وإما بيت شعر صحيح قديم، قائله قد عاش في العصر الجاهلي ، أو عصر الراشدين أو العصر الأموي، وقد يكون قائله شاعراً مخضرماً، أي عاش الشطر الأخير من حياته في العصر العباسي، وآخر الشعراء المخضرمين الذين يُستشهد بشعرهم، هو الشاعر ابن هَرمَة.

- واما بيت الشعر الذي يكون قائله قد ولد أو عاش اكثر حياته في العصر العباسي أو ما بعد هذا من العصور، فلا يُعدّ شاهداً، وانما يؤتى به كمثال أو للاستئناس ليس غير، أي هو غير حجة لغوية.

- ولتوضيح ما سبق نقول : لقد اختلف علماء اللغة في كلمة "هات" أهي فعل أم أسم فعل، ولكن أكثرهم رجحّ أنها فعل، واحتجّ بقول امرىء القيس السابق:

" إذا قلت : هاتي نَوليني تمايلت"

لأن الكلمة قبلت إحدى علامات الفعل، وهي ياء المخاطبة.

****

الأفعال الخمسة

هي كل فعل يأتي على وزنٍ من الأوزان الخمسة التالية :

تفعلين، تفعلان، يفعلان، تفعلون، يفعلون.

* ترفع هذه الأفعال بثبوت النون في آخرها: نحو : **الطلاب يأتون الى الجامعة خمسة أيامٍ**

* وتنصب هذه الأفعال وتجزم بحذف النون من آخرها .

نحو " بعض الطلاب لم يأتوا الى الجامعة، وبعض الطلاب ذهبوا في رحلة ولن يأتوا الى الجامعة"

*** شواهد وأمثلة:**

- قال شاعر قديـــم :

تمرّون الـديارَ ولــم تَعــوجــوا
كَلامــكـــمُ عَليَّ إذنْ حَـــرامُ

- وقال امرؤ القيس في معلقته :

قِفــا نبكِ مـــن ذكـــرى حبـــيبٍ ومنزلِ
بسقـط اللّوى بين الدخول فَحوملِ

- وقــال المتنبي :

ولو لـم تكوني بنتَ اكـــرم والدٍ
لكان أبــوكِ الضخْم كونَك لـي أمّا

****

الفـــاعـــل

هو اسم أو ما في تأويله ، اسند اليه فعل أو ما في تأويله ، فالاسم نحو قولنا: " تباركَ اللهُ" والمؤوّل به نحو قوله تعالى " أولم يكفهم أ نا انزلنا" " أولم يكفهِمْ أنزالُنا"

وللفاعل احوال اساسية، أهمها:-

١. **الرفع،** وقد يجرّ بمن أو بالباء الزائدتين، أما "من" فنحو قوله تعالى: " أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ" ... أي ما جاءنا بشيرٌ ... وأما الباء فنحو قوله تعالى " كفى بالله شهيداً" أي: كفى اللهُ شهيداً.

٢. وقوعه بعد الفعل أو عامله ، فإن تقدّم عليه، وجب تقدير الفاعل ضميراً مستتراً، وكون الأسم المتقدم مبتدأ، نحو " قام زيد"و زيدٌ قام، هذا إذا كان الاسم المتقدم معرفة، اما إذا كان نكره نحو قوله تعالى: وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك" فيجب عدّه فاعلاً لفعل محذوف مناسب و شبيه للمتأخر.

٣. لابد من وجوده بعد الفعل أو العامل، وهو يكون إما ظاهراً نحو:" جاء الطالبُ" وإما مستتراً ، نحو الطالب جاء" وإمّا ضميراً متصلاً نحو :" جئتُ الى الجامعة"

ومعنى هذا أن الفاعل لا يجوز حذفه من الجمله وهو الرأي الراجح.

٤. يجوز حذف فعله ، إن أجيب به عن سؤال . نحو قولنا: " نعم زيدٌ" لسائل يسأل : " هل جاءك أحد؟" أو عن كلام منفي ، كقولنا " بلى زيدٌ" لمن نفي فقال:" ماقامُ احد".

٥. أن فعل الفاعل يبقى واحداً في صورته، سواء أكان هذا الفاعل مفرداً أم كان مثنى أم جمعاً، فنقول:

" جاء الطالب" و " جاء الطالبان" و " جاء الطلاب"

* **تنبيه** : بعض العرب كانوا يلحقون بالفعل قبل الفعل علامات التثنية أو الجمع، فيقولون: " ضرباني أخواك"

و"ضربوني قومك" و "ضربنني نسوتك" وتسمى هذه اللغة لغة أكلوني البراغيث"

والصحيح أن الألف والواو والنون في هذه المثلة هي ليست ضمائر ، وانما حروف دلّوا بها على التثنية والجمع.

٦- الأصل ان يتقدم الفاعل على المفعول به ولكن يجوز تقديم المفعول به على الفاعل إذا لم يتوجب تقديم الفاعل ويجب تقديم الفاعل وجوباً في حالتين:-

أن يؤدي تقديم المفعول به الى لبْس، إذا تعذّر ظهور الحركة الدالة على آخر كل منهما، نحو: " ضرب موسى عيسى" ولم يُعرف من المعنى الفاعل ، والمفعول ، وأما إذا ظـــهر من خلال المعنى فيـجـوز التقديـم نحـو: " أكل كوسى موسى"

ب. أن يُحصر المفعول بإنما نحو : " إنما ضرب فريدٌ عمراً"

* **وجوب تقديم المفعول به على الفاعل** : ويكون هذا في حالتين .

١. ان يتصل بالفاعل ضمير المفعول به، نحو قوله تعالى : " وإذا ابتلى ابراهيمَ ربُّهُ" . وقوله:" يومَ لا ينفع الظالمين معذرتُهم.

٢. أن يحصر الفاعل بإنما ، نحو قوله تعالى :

"إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ".

نائب الفاعل

هو اسم مرفوع، ينوب عن الفاعل، إذا لم يُعرف وكان مجهولاً، أو حذف لأغراضٍ بلاغية معينة نحو قولنا: "سُرِقَ البيتُ" و "إذا حُيّيتم بتحية"

ما ينوب عن الفاعل

ينوب عن الفاعل :

١. المفعول به، نحو قوله تعالى : "وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمرُ"

٢. المجرور، نحو "...و لما سُقِطَ في أيديهم" و "سِيرَ بزيدٍ"

٣. الظرف : نحو "صِيمَ رمضانُ" و "نِيمَ عنده"

شواهد وامثلة:

• قال الكميت بن زيد:

أجهــالاً تقــولُ بنــي لؤيٍّ
لَعَمْرُ أبيك أم متــجاهليــنــا.

• وقال لبيــد في معلقته:

صــادفنْ منها غِرةً فــأصبْنَهــا
إنّ المنــايـا لاتطيشُ سهامهــا

• وقال عنترة في معلقته:

حُيِّيتَ من طلــلٍ تقادمَ عهــدُهُ
أقــوى وأقفرَ بعــد أمِّ الهيثــم

* وقال أبن زيدون الأندلسي:

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا

بأن نغصّ فقال الدهــــر : آمينـــــا

* وقال شوقـــــــــي :

لاأمسِ من عُمر الزمان ولا غَدٌ

جُمعَ الزمانُ فكان يـــــوم لقـــــاك

* وقال المتنبي :

كفى بك داء ان ترى المـــــوت شافيــــــا

وحسب المنايـا أن يكنّ أمانيـــــــا

المفعول به

اســـم منصوب، ويقع عليه فعل الفاعل.نحو : "قرأ محمدٌ الصحيفةَ"

– والمعروف أن الأفعال تتفاوت في قوتها، وأضعفها الفعل اللازم، وهو الذي لا يأخذ مفعولاً به ، أو لايتعدى اليه، نحو: نام الطفـــلُ في السرير".

– وثمة أفعال تتعدى الى مفعول به واحد، وهي اكثر الأفعال في العربيـــة، نحو " اشتريتُ من المكتبة كتاباً ، و" أكل زيدٌ الطعامَ".

– وثمة أفعال تأخذ مفعولـــين، وهـــي نوعـــان:.

١. أفعال تأخذ مفعولين، ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، نحو:

كسا، أعطى، منح، وهب.

مثـــال : " أعطى المحسنُ الفقيرَ ديناراً" و " وهب الله الرجلَ غلاماً زكياً"

٢. أفعال تتعدى الى مفعولين ، أولهما مبتدأ وخبر، وهي بحسب المعنى ثلاثة أنوا ع:

أ. أفعال تفيد الشك، مثل ظنّ وحسب ، خال، زعم، نحو قوله تعالى : " وإني لأظنكَ يافرعونُ مثبوراً"

وقولنا : " حسب الطالب الامتحانَ سهلاً"

ب. أفعال تفيد اليقين، مثل : وجد، علم، تعلّمْ، حجا، رأى القلبية، نحو قوله تعالى : ".. تجدوه عند الله هو خيراً". وقولنا : "رأيتُ اللهَ اكبرَ كلِ شيءٍ".

جـ. أفعال تفيد الصيرورة، مثل : جعل، اتخذ، ردّ، ترك، نحو قوله تعالى :
" لو يردّونكم من بعد إيمانكم كُفاراً حسداً" وقولنا:" ترك الزلزالُ المدينةَ خراباً"

٣- أفعال تتعدى الى ثلاثة مفاعيل، أصل الثاني والثالث منهما مبتدأ وخبر، مثل حدّث، أعلم، علّم، أنبأ، نبّأ، أخبر، خبّر.

نحو قولنا: " حدّث المعلمُ التلاميذَ الأمانةَ فضيلةً".

* **تنبيه:** يجوز حذف المفعول به، إذا كان ثمة دليل عليه، نحو قوله تعالى :
" أين شركائي الذين كنتم تزعمون"

الشاهد : حذف المفعول الاول والثاني .

والتقدير : " الذي تزعمونهم شركاء".

.. ويجوز تقديم المفعول على الفاعل اذا أمن اللبّس، نحو " سأل علياً محمدٌ"

ويجوز تقديمه على الفعل والفاعل، نحو : " علياً سأل محمدٌ".

* **ملاحظة** يجوز أن تعمل كلمة " تقول" عمل " ظنّ" وتأخذ مفعولين ، بثلاثة شروط ، هي:

١. أن تكون الصيغة "تقول" بتاء الخطاب.

٢. أن تكون مسبوقة باستفهام.

٣. أن يكون الأستفهام متصلاً بالفعل، أو منفصلاً عنه بظرف أو جار ومجرور، أو مفعول.

الشاهد : متى تقولُ القلـــصَ الرواسما
يدنين أمَّ قـــاســمٍ وقـــاسمـــا

وكقولنـــا : " أتقولُ الامتحانَ سهــلاً ؟

*** شواهد شعرية.**

– قال شاعر جاهلي :

" تعلَّمْ شفاءَ النفسِ قهــرَ عدوِّهـــا

فبـــالغْ بلطفٍ في التحيُّل والمكرِ "

– وقال شاعر قديم :

قد كنت أحجـــو أبا عمروٍ أخـــا ثقةٍ

حتـــى ألَمَّتْ بنـــا يومـــاً ملِمّاتُ

– وقال الشاعر أبو ميـة الحنفـي :

زعمتْني شيخـــاً ولستُ بشيـــخٍ

إنمـــا الشيخُ مـــن يَدُبُّ دبيـــبا

– وقال جرير يهجو الفرزدق:

زعمَ الفـــرزدقُ أن سيقتلُ مِربعاً

أبـــشرْ بطول ســـلامةٍ يـامـــرِبعُ

– وقال الكميت بـــن زيد الأسدي

أجهـــالاً تقـــولُ بنـــي لـــؤيٍ

لعـــمرُ أبيـــك أم متجـــاهلينا

المفعول المطلق

اسم منصوب، ويكون مصدراً في الغالب، والمصدر هو اسم الحدث الجاري على الفعل، والمفعول المطلق ثلاثة أنواع ، وهي :

١. مفعول مطلق يأتي لتوكيد عاملة، سواء أكان هذا العامل هو الفعل ، نحو: " قرأتُ قراءةً" أم كان هو المصدر، نحو قوله تعالى :"فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً".

أم كان هو اسماً مشتقاً نحو قوله تعالى :" والصافات صفّاً".

٢. مفعول مطلق يبين نوعه، نحو " جلست جلوسَ المتنبهِ".

٣. مفعول مطلق يبن عدد حدوث الحدث، نحو " قرأت الرواية قراءتين".

*** ما ينوب عن المفعول المطلق:-**

ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق ما يدل على المصدر، نحو :

١. صفته، كقولنا : " سرت أحسنَ السّيرِ".

٢. ضميره، نحو : "أحبه حباً لا أحبُّه أحداً".

٣. الإشارة اليه، نحو " احترمتُه ذلك الأحترامَ".

٤. مرادفة: نحو " فرحتُ جَذَلاً".

٥. مشارك له في مادته، نحو قوله تعالى : " والله أنبتكم من الإرض نباتاً".

٦. دال على نوع منه، نحو: "قعد القرفصاءَ" و " رجع القهقرى".

٧. دال على عدده، نحو : "فاجلدوهم ثمانين جلدةً".

٨. آلتـــه: نحو: ضربته سوطاً أو عصا".

٩. كلمة "كل" المضافة اليه: كقوله تعالى " فلا تميلوا كلَّ الميلِ".

١٠. كلمة " بعض" المضافة اليه ، نحو: عَتبتُ على صديقي بعضَ العتبِ".

* **شواهد شعرية وامثلة:**

– قـــال قيس بن المـــلوّح:

وقد يجمـــعُ اللـــهُ الشتَيتـــينِ بعـدما

يظـنّانِ كـلَّ الظـنِّ أنْ لا تـلاقـيا"

– وقـــال عنتـــرة في معلقـــته:

علّقتُـــها عَرَضـــاً وأقـــتلُ قـومـــها

زعـــماً لعمر أبـيك ليـــس بمـــزعمِ

– وقال شاعر جاهلي يستنهض قومه:

" قوموا قياماً على أمشـــاط أرجلـــكم"

– وقالت رابـعـــة العدويـــة:

أحبكَ حبـــين حبُّ الهـــوى

وحبٌّ لأنّـــكَ أهـــلٌ لذاكا"

المفعول معه

هو الاسم، الذي يلي واو المصاحبة مسبوقة بفعل أو ما فيه معناه وحروفه . نحو: " سرْتُ والنيلَ" و" أنا سائرٌ والنيلَ" .

*** شروطه، وهي ثلاثة:**

١ . أن يكون أسماً .

٢ . أن يكون واقعاً بعد الواو الدالة على المصاحبة.

٣ . أن تكون الواو مسبوقة بفعل، أو ما فيه معنى الفعل وحروفه.

نحو قوله تعالى : " واجمعوا أمركم وشركائكم" .

أي فاجمعوا أمركم مع شركائكم، واذن فشركاؤكم هي مفعول معه، لاستيفاء الكلمة الشروط الثلاثة، ولا يجوز على ظاهر اللفظ أن تكون معطوفة على " أمركم" لأنه حينئذ شريك له معناه، فيكون التقدير اجمعوا أمركم واجمعوا شركائكم، وذلك لا يجوز، لأن اجمع يتعلق بالمعاني دون الذوات[1] .

*** شواهد وامثله :**

" في الابيات التالية لم تتوفر الشروط الثلاثة للمفعول معه

– قال أبو الأسود الدؤلي :

لاتَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ

عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

(١) ابن هشام ، شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٢٣٨

ـال معن بـن أوس :

لَعَمْرُك ما أدري وإنّي لأوجـلُ

علـى أيِّنـا تعـدو المنـيةُ أوّلُ

ال شـاعر قـديم:

إنّ أبـاها وأبـا أبـاها

قـد بلغـا فـي المجـد غايتاها

د توفرت الشروط الثلاثة في قول أبي تمام:

انقضت تلـك السنـون وأهلَـهـا

فـكأنهـا وكـأنهـم أحـلامُ

نبيه: من أمثلة المفعول معـه قولنـا:

١. سريتُ وطلوعَ النجمِ

٢. سرتُ وشاطيءَ البحرِ

٣. مشيت وسكةَ الحديدِ

****

المفعول فيه

* ونعني به الظرف ، وهـــو يقسم قسمـــين

أ. **ظرف المكان** : وهو اسم يدل على مكان ، ويأتي على ثلاثة أقسام:

١. ظرف المكان المُبهم، ونعني به مالايختص بمكان بعينه، ويشمل أسماء الجهات الست، وهي : فوق، تحت، يمين، شمال، أمام، خلف.

وشاهده قوله تعالى : " وفوق كل ذي علم عليم" و " فناداها مَنْ تحتَها " و " وكان وراءهم ملكٌ".

– كذلك يشمل ظرف المكان ماليس اسم جهة، ولكنه مُبهم، غير معيّن، كقوله تعالى :

" و اطرحوه أرضاً" و" وإذا ألقوامنها مكاناً ضيقاً.

– ويشمل أيضاً مادل على مساحة من الارض، مثل :" فرسخ"و"ميل" و"بريد" و " كيلومتر" نحو" مشيت ميلاً" .

– كذلك يشمل اسم المكان المشتق من المصدر، وعامله من مادته. نحو" جلستُ مجْلِسَ القاضي"

و" ذهبتُ مذهبَ الحسنِ".

وشاهده قوله تعالى : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " ولا يجوز " جلست مذهب القاضي".

* **تنبيه** : اذا اختص اسم المكان ، وزال عنه الإبهام لايجوز انتصابه على الظرفية، فلا تقول: "صليتُ المسجدَ" ولا" مشيت السوق" ولا" جلست الطريق".

وانما يجب ان نأتي بحرف الظرفية، وهو" في" قبلها، فنقول: "صليت في المسجد" و"مشيت في السوق" ... الخ.

ب. ظرف الزمان: وهو اسم يدل على الزمان الذي وقع فيه الحدث، ويجوز أن يكون أسماً مبهماً ، نحو قولنا"صمتُ يوما" ، ويجوز أن يكون اسماً مختَّصاً" نحو قولنا "صمت يوم الجمعة" وشاهده، قوله تعالى "سيروا فيها لياليَ وأياماً" و "النارُ يُعَرضون عليها غدواً وعشيّاً"، و "سبِّحوه بُكرةً وأصيلاً"

*** شواهد شعرية**

- قال عمرو بن كلثوم في معلقته:

صـددتِ الكأسَ عـنّـا أمّ عمـروٍ

وكـان الكـأس مجراها اليميـنـا

- وقالت جنـوب بنت العجلان:

لقـد علـم الضـيفُ والمُـرملـون[1]

إذا اغـبرّ أفـق وهَبـت شمـالا

- وقال جـريـر:

هبّتْ جنُوبـاً فذكـرى مـاذكـرتُكُمُ

عـند الصفاةِ التـي شـرقيُّ حَورانا

---

(١) المرملون: جمع مُرمل وهو من نفد زاده

* وقال امرؤ القيس:

ألا عمْ صباحاً أيها الطلل البالي

وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُر الخالي

* وقال عمر بن أبي ربيعة:

أمِنْ آل نعـــم أنت غـــادٍ فمُـبْكرُ

غــداةَ غدٍ أم رائــحٌ فمهـجِّر

* وقال النابغة الذبياني :

وقفتُ فيها أصيـــلاً لا أخاطبــها

عيَّــت جواباً وما بالربْع من أحد

****

تنبيه : اذا اختص اسم المكان ، وزال عنه الإبهام لايجوز انتصابه
ى الظرفية، فلا تقول: "صليتُ المسجدَ" ولا" مشيت السوق" ولا" جلست
ريق".
ما يجب ان نأتي بحرف الظرفية، وهو" في" قبلها، فنقول: "صليت في
سجد" و"مشيت في السوق" ... الخ.

ظرف الزمان: وهو اسم يدل على الزمان الذي وقع فيه الحدث، ويجوز
يكون أسماً مبهماً ، نحو قولنا"صمتُ يوما" ، ويجوز أن يكون اسماً
ختصاً" نحو قولنا "صمت يوم الجمعة" وشاهده، قوله تعالى "سيروا فيها
ليَ وأياماً" و "النارُ يُعَرضون عليها غدواً وعشيّاً"، و "سبّحوه بُكرةً وأصيلاً"

شواهد شعرية

قال عمرو بن كلثوم في معلقته:

صـددتِ الكأسَ عـنّـا أمّ عمـروٍ
وكـان الكـأس مجراها اليميـنـا

وقالت جنـوب بنت العجلان:

لقـد علـم الضـيفُ والمُـرملـون[1]
إذا اغـبرّ أفـق وهَبـت شمـالا

وقال جـريـر:

هبّتْ جنُوبـاً فذكـرى مـاذكـرتُكُمْ
عـند الصفاةِ التي شـرقيُّ حَورانا

---

[1] المرملون: جمع مُرمل وهو من نفد زاده

* وقال امرؤ القيس:

ألا عمْ صباحاً أيها الطلل البالي

وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُرُ الخالي

* وقال عمر بن أبي ربيعة:

أمِنْ آل نعـــم أنت غـــادٍ فمُــبْكرُ

غـــداةَ غدٍ أم رائـــحٌ فمهـــجِّرٌ

* وقال النابغة الذبياني :

وقفتُ فيها أصيـــلاً لا أخاطبـــها

عيّـــت جواباً وما بالربّع من أحد

****

المفعول لأجله

ى المفعول له ، والمفعول من أجله .

ل اسم يبين علة الحدث وسبب وقوعه، ويشترط فيه أربعة شروط:

يكون مصدراً .

ى يكون مذكوراً للتعليل.

يكون المعلّل به حدثاً مشاركاً له في الزمان.

يكون مشاركاً له في الفاعل .

اهده قوله تعالى "يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حَذرَ الموت"

فقد الاسم الذي نأتي به للتعليل شرطاً من الشروط الاربعة السابقة، لا يأتي مفعولاً لأجله، ويجب أن نجره بحرف من الحروف الدالة على ل، وهي اللام ، من ، وفي، والكاف، والباء.

ولنا " جئتك للماء والعشب" و " جئتك اليوم للسفر غَداً"

واهد شعرية :

ل سويد بن كاهل :

ربّ من أنضجـــت غيظـــاً قلبَـه

قـــد تمنـــى لـــي موتـــاً لم يُطَعْ

ـــال طرفـــة:

وقوفـــاً بهـــا صحبـــي علـيَّ مطيُّهـــم

يقولـــون: لاتـــهلـــك أســـىً وتجـــلّدِ

ال شاعر أموي..

أهـــابـــك إجـــلالاً ومـــابـــك قـــدرةٌ

عـــليّ، ولكـــن مِلْءُ عـــين حبيبـــها

المبتدأ والخبر

هو الاسم غير المسبوق بأحد العوامل اللفظية والذي يكون له خبر، ويكوّنان معاً جملة مفيدة.

نحـــو: " الجامعةُ منارةُ علمٍ".

وقد يرفع المبتدأ اسماً يستغنى به عن الخبر، نحو سؤالنا: "أقادمٌ الطالبان؟" ونحو: "أمطلوبةٌ القصيدتان؟"

وقد يعتمد هذا المبتدأ على النفي، نحو قولنا " ماقادمٌ الطالبان".

- وأذن فهذا المبتدأ المستغني بمرفوعه، لابد له أن يعتمد على نفي أو استفهام.

- **وأما الخبر** فهو الجزء الذي تحصل به فائدة الجملة مع المبتدأ.

*** أنواع الخبر ثلاثة وهي :**

١. اسم مفرد ، نحو " الاجتهاد نافعٌ".

٢. جملة تحتوي على ضمير يعود على المبتدأ، وتكون إما اسمية، نحو قولنا: " العلمُ تحصيله نافعٌ".

وإما جملة فعلية، نحو قولنا: " السماءُ تمطرُ".

٣. شبه جملة ، كأن تكون ظرفية، نحو قوله تعالى : " والركبُ أسفلَ منكم".

أو كأن تكون من جارٍّ ومجرور، نحو قوله تعالى " الحمدُ لله".

والذي يرجّحه اكثر علماء اللغة أن خبر المبتدأ هنا هو في الحقيقة محذوف، وأن تقديره: " كائن و مستقر أو موجود".

المبتدأ معرفة ونكرة

والمبتدأ في الغالب اسم معرفة، إذ لايجوز الابتداء بنكرة الا إذا حصلت فائدة ، كأن يكون الخبر شبه جمله متقدمة عليه، نحو قوله تعالى:" على ابصارهم غشاوةٌ" ولا يجوز أن نبتدىء هنا فنقول " غشاوةٌ على أبصارهم" ، ونقول : " في الجامعة حارسٌ" ولا يجوز ان نقول " حارسٌ في الجامعة " لأن الاسم نكرة.

*** متى يجوز الابتداء بالنكرة؟**

يجوز ان نبدأ بالاسم النكرة في حالات معينة أهمها:

١. أن يعتمد الاسم على نفي : نحو قولنا" ماطالبٌ غائب"

٢. أن يعتمد على استفهام، نحو قوله تعالى " أإلهٌ مع الله؟"

٣. أن يكون الاسم النكرة موصوفاً، نحو قولنا: " طالبٌ مجدٌ خيرٌ من طالب مهمل".

٤. أن يكون الاسم النكرة يعمل عمل الفعل، كما جاء في الحديث الشريف: " أمرٌ بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة.

٥. أن يكون الاسم النكرة مضافاً، كما جاء في الحديث" خمسُ صلواتٍ كتبهنَّ اللهُ"

*** تاخير الخبر وتقديمه:**

الأصل أن يتأخر الخبر عن المبتدأ، ولكن يجوز تقديمه جوازاً إذا لم يمنع مانع، نقول:

" السماء ممطرةٌ" ونقول:" ممطرةٌ السماءُ". ولكن ثمة حالات توجب تأخره وجوباً عن المبتدأ.

* **وجوب تأخير الخبر:**

ويجب تأخّر الخبر عن المبتدأ في أربع حالات ، وهي :

١. أن يُخشى اللّبس إذا تقدم على المبتدأ، وذلك إذا كانا معرفتين أو متساويين ولا توجد قرينة دالة، نحو قولنا: "زيدٌ أخوك" و" أبو يوسف أبو حنيفة".

٢. أن يخشى التباس المبتدأ بالفعل، اذا كان الخبر جملة فعلية:نحو"زيد قام" فلو قلنا :" قام زيد" لأضحت الجملة فعلية.

٣. أن يقترن الخبر بأداة حصر: مثل " إنما" نحو قوله تعالى " إنما أنت نذير" أو " إلاّ" نحو قولنا :" ما محمد الا رسول" .

٤. أن يكون المبتدأ من الأسماء التي لها الصدارة في الجملة ، كأن يكون اسم استفهام، نحو : " من الاسكندرُ؟".

أو اسم شرط، نحو:" من يقمْ أقمْ معه".

* **وجوب تقدّم الخبر على المبتدا:**

ويجب تقدم الخبر على المبتدأ في أربع حالات هي .

١. أن يخشى اللّبس إذا تأخر. نحو قولنا: "في الجامعة طلاب" و" معك كتبٌ".

٢. أن يقترن المبتدأ بأداة حصر كقولنا:" مالنا الا الجدُّ والاجتهاد".

٣. أن يكون الخبر اسماً له الصدارة في الجملة، كأن يكون اسم استفهام. نحو :" أين عليٌّ؟" و " كيف المريض؟".

٤. أن يتصل بالمبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر ، كقوله تعالى : " أم على قلوب أقفالُها" ونحو " في الجامعة طلابُها".

* **حذف المبتدا:**

يجوز حذف المبتدأ، إذا كان هذا ظاهراً، كجوابك لمن سأل: كيف أبوك؟ فتقول: مسرورٌ.

ب حذف المبتدأ :

يجب حذف المبتدأ، إذا أخبر عنه بنعت مقطوع لمجرد، المدح ، نحو " له الحميدُ".

" اعوذ بالله من ابليسَ عدوُّ المؤمنين".

م : نحو" مررتُ بعبدك المسكينُ".

، يجب حذفه في مخصوص الفعل "نعم" : نحو : " نعم العادلُ عمرُ" ل " بئس" نحو" بئس الرجلُ أبو لهبٍ".

ف الخبر :

ويجوز جوازاً في نحو قولنا:

ت فإذا صديقي" أي واقف أو قادم، وكجوابك لمن سأل: من عندك؟ : زيد. أي عندي .

ف الخبر وجوباً :

ويحذف الخبر وجوباً في حالات معينة أهمها:

يكون كوناً مطلقاً، والمبتدأ بعد"لولا"

ولنا : " لولا النيلُ لكانت مصر صحراء" أي " موجود".

يكون المبتدأ صريحاً في القسم: نحو " لَعمرُك لأقومنٌ بواجبي أحسن ي لعمرُك قسمي.

يكون الاسم معطوفاً عليه اسم بواو هي نص في المعية . نحو قولنا: " لب واجتهادُه".

تعدد الخبر

وجوّز العلماء تعدّد الخبر في الجملة، نحو قولنا:

" زيدٌ شاعرٌ كاتبٌ عالمٌ"

*** شواهد شعرية وامثلة :**

- قال شاعر قديم :

خليليَّ ما وافٍ بعهدي أنتما

إذا لم تكونا علـــى مـــن أقاطعُ

- وقال شاعر قديم :

أقاطنٌ قومُ سلمى أمْ نووا ظعنا

إن يظعنوا فعجيبٌ عيشُ من قطنا

- وقال زهير في معلقته :

لسانُ الفتـــى نـــصفٌ ونصفٌ فؤاده

فلـــم يبقَ ألا صورةُ اللحـــم والدم

- وقال طرفة في معلقته :

لخولـــــةَ أطلالٌ ببـــرقة ثهمـــدِ

تلوح كباقي الوشم في ظـــاهرِ اليدِ

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضة

على المرء من وقـــعِ الحسامِ المهندِ

- وقال المتنـــبي :

ليالىَّ بعد الظاعنين شُكُولُ

طوالٌ وليـــلُ العاشقـــــين طويلُ

- وقـــال شوقـــي :

صلاحُ أمرك للأخلاق مرجـــعُهُ

فقوِّم النفـــسَ بالأخلاقِ تستقمِ

- وقال حافظ على لسان اللغة العربية

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ

فهل سألوا الغوّاصَ عن صَدَفَاتي

العـــدد

- العدد في اللغة هو اسم للشيء المعدود، وشاهد هذا قوله تعالى " كم لبثتم في الأرض عددَ سنين". والعدد اصطلاحاً هو الألفاظ التي تُعدّبها الأشياء.

*** قواعد كتابة العدد:**

عند كتابة العدد كتابة فصيحة، ينبغي أ ن نتنبّه الى شيئين :

أ. قاعدة كتابته من حيث التذكير والتأنيث.

٢. وضع التمييز بعد العدد من حيث الحركة

* أ ما حكم العدد من حيث التذكير والتأنيث، فهو ثلاثة أقسام:

١. ما يذكرّ مع المذكّر، ويؤنث مع المؤنث دائماً، وهو الواحد والاثنان، نقول في المذكر: واحد واثنان، وفي المؤنث : واحدة، واثنتان.

وشاهد هذا قوله تعالى : " والهكم اله واحد" .

و " الذي خلقكم من نفس واحدة" و " حين الوصية اثنان" و" ربنا أمتّنا اثنتين، وأحييتنا اثنتين" .

* ويطابق المعدود كل عدد جاء على صيغة الفاعل، مثل "ثالث، رابع، خامس... الخ" و " ثالثة ورابعة و خامسة..." الى عاشر وعاشرة،

شاهد قوله تعالى " " والخامسة أن غضب الله عليها" .

٢. ما يؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث دائما.

وهو الاعداد من (٣-٩)، سواء أكانت مركبة تركيباً مزجياً مع العشرة أم لم تكن. نقول : " ثلاثة أيام" و" ثلاث نسوة".

ونقول:" ثلاثة عشر رجلاً" بالتاء في ثلاثة" ثلاث عشرة امرأة" ... وهكذا.

٣. العدد عشرة ، اذا كان مفرداً فنعامله معاملة الأعداد، من (٣-٩) أي يذكر مع المؤنث، ويؤنث مع المذكر، نقول : "عشر نساء" وعشرة رجال".

وإن كان مركباً تركيباً مزجياً أي من (١١-١٩) فإنه يطابق المعدود، أي يذكر مع المذكر ويؤنث مع الأنثى.

نقول: " أربعة عشر رجلاً" و " أربع عشرة امرأة".

٤. الفاظ العقود نحو " عشرين ، ثلاثين، اربعين، خمسين الى تسعين".

تعامل معاملة جمع المذكر السالم وتلحق به في الإعراب، أي ترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء، نحو " جاء أربعون طالباً" و شاهدت اربعين طالباً" و" مررت بأربعين طالباً".

٥. العدد مئة، يُعد مؤنثاً ، فإذا أضيف اليه من ٣-٩" العدد يذكر، نقول " خمس مئة، ست مئة... الخ".

٧. الأعداد " ألف" و " مليون" و " مليار" تعد مذكرة فإذا عُدّت، فالعدد يؤنث معها من (٣-٩) نقول : خمسة الآف ، خمسة ملايين ، خمسة مليارات،... الخ"

* **أما العدد من حيث التمييز** ، فهو على اقسام أربعة في الغالب ":

١. ما لا يحتاج لتمييز أصلاً، وهو العدد، واحد واثنان" إذ لا تقول واحد رجل، ولا أثنان رجلين.

٢. ما يحتاج الى تمييز مخفوض وهي الاعدادمن (٣-١٠)
نقول : ثلاثة رجالٍ ، ثلاث نساءٍ.
عشرة طلاب و عشر طالبات .
٣. مالا يحتاج الى تمييز مفرد منصوب ، وهو الاعداد من (١١-٩٩).
شاهد " إني رأيت أحد عشر كوكباً".
" وواعَدْنا موسى ثلاثين ليلةً، وتممناها بعشر، فتمّ ميقاتُ ربه أربعين ليلةً".
٤. مايحتاج الى تمييز مفرد مخفوض وهو " مائة، الف، مليون، مليار، مائة رجل، الف رجل، مليون رجل، مليار رجل".

* **تنبيه**: كلمة "مائة" لاتنطق الالف فيه، ويجوز أن تكتب "مئة" من دون الف.

* **شواهد وأمثلة شعرية**

- قال عنترة :

فيهـــا اثنـــتان وأربعـــون حـلـــوبـــةً
ســـوداً كخـــافية الغراب الأسحم

- وقال النابغة الذبياني مشيراً الى قصة زرقاء اليمامة، والمعدود هنا الحمام

فحسبـــوه فالفـــوه كمـــا حسبت
تســـعاًوتسعين لم تنقص ولـــم تزدِ

- وقال أبو تمام مشيراً الى قتلى الروم في عمورية :

ستـــون ألفاً كآساد الشرى نضجتْ
جلـــودهمُ قبل نضـــج التـــين والعنبِ

الباب الثاني
«موضوعات أدبية»

* آيات من سورة البقرة
* حكاية لخالد بن صفوان
  - تعليق
* حكاية عروة بن مُرثد
  - تعليق
* المقامة المضيرية
  - تعليق
* حكاية "عزيز قومٍ ذل"
  - تعليق
* أعمار الدول لابن خلدون
  - تعليق
* "أين نعلاك..؟" لطه حسين
  - تعليق
* قصيدة" كذا أنا يادنيا"
  - تعليق

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ
مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ
فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ
أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٢٨٢

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ
أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

تعليق

كان العرب قبيل الاسلام، قد بلغوا شأواً عاليا في البلاغة والبيان، كما يتبدّى لنا هذا الى الآن في الشعر الجاهلي عامّة وفي المعلقات خاصة، .وأما مقدرتهم البيانية في النثر فقد تجلت من خلال الخطب البليغة، التي كان يلقيها في المحافل العامة، كسوق عكاظ وغيره، بعض حكمائهم وفصحائهم من أمثال قس بن ساعده الأيادي، واكثم بن صيفي وسحبان وائل، وقد كانوا يشغفون بالحكمة الشعرية، وتهتز نفوسهم امام البيان الآسر، على نحو ما صورالرسول الكريم في قوله: (ان من البيان لسحراً، وان من الشعر لحكمة).

وحين نزل القرآن الكريم، بهرهم بطريقة تأليفه للكلام، فهو ليس نثراً كما عهدوا في نثرهم، وليس شعراً كما نظموا في شعرهم، وانما هو قرآن ليس غير، ذلك أنه نحو جديد في تأليف الكلام، قد تحداهم أن يأتوا بمثله فأعجزهم هذا التحدي، على الرغم من بلاغتهم وفصاحتهم، وقد كان هذا الإعجاز في بلاغة القرآن سبباً في اسلام كثير منهم اذ كان احدهم ما ان يسمعه حتى يسحره، ويدفعه الى الأقرار بأن كلامه ليس بكلام بشر، مع انه نزل بلفظ عربي مبين، ومع انه – فضلاً عن تصويره امور الحياه الأخرى- قد حرص على معالجة أخص شؤون الدنيا، على نحو ما نجد في الآيات السابقات، التي يعرض القرآن فيها لبعض المعاملات المالية، مثل الربا الذي كان شائعاً عند نزوله، فيبيّن مساوئه، ويظهر مضاره، ويندد بأصحابه، كذلك يعرض للمعاملات المالية التي تقوم على التداين، لأجل مسمى، فيدعو الى توضيح شروط الدين، ومن خلال (كاتب عدل)، فإن تعذرّ هذا كله في حال السفر، فمن خلال الرهان المقبوضة، او من خلال الثقة بأمانة المدين، إن كان ذا تقوى ومثل هذا الذي نجده في الايات نجده في كثير من السور المدنية خاصة، لأن الحكومة الأسلامية خلالها كانت في طور الأنشاء، وفي امس الحاجة الى

ارساء قواعد ووضع قوانين، وهذه الحكومة كما يقول العقاد:(...... جملة ما يقال فيها: انها هي حكومة لمصلحة المحكومين لا لمصلحة الحاكمين، يطاع الحاكم فيها ما اطاع الله، فإن لم يطعه فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[1]

والجدير بالتنبّه هنا ان القرآن الكريم هو اقدم كتاب عربي موثوق قد وصل الينا، وأنه اعظم الكتب العربية كلها تأثيراً في العرب والمسلمين إذ كانت الكتابة حين نزل نادرة ، لا يعرفها الا قله من اولاد الاشراف في الحواضر، لكنها ما لبثت ان شاعت بسبب حاجة المسلمين في الامصار الى استنساخه، من أجل تلاوته، وتدبره،..... وتلاوته تلاوة خالية من اللحن (الخطأ اللغوي)، قد دفعت بعض العلماء الى وضع قواعد النحو والصرف، لعصمة لسان قارئه من الخطأ، فظهرت الكتب اللغوية وتطورت على مر القرون، ومحاولة المسلمين فهم القرآن، قد ادت بدورها الى ظهور كتبٍ كثيرة في تفسيره، مثل: (تفسير الطبري)و(تفسير ابن كثير) وعجز العرب البلغاء أن يأتوا بمثله، قد دفع بعض العلماء المتأخرين الى محاوله التعرف الى نواحي الإعجاز فيه مما ادى الى ظهور علوم البلاغة، التي بلغت أوجها عند عبد القاهر الجرجاني، كما في كتابيه : (دلائل الاعجاز) و(أسرار البلاغة) .

والى الآن مازال القرآن الكريم منهلاً ثرّاً للعلماء، ومازالت لغته توحي بالدراسات اللغوية الجادة، ولعل من آخرها كتاب: (من بديع لغة التنزيل) للدكتور ابراهيم السامرائي[2].

---

(١) الفلسفة القرانية : ٣٧-٣٨، دار الكتاب العربي، بيروت-ط٢، ١٩٦٩.

(٢) وقد وقف عند اللغة في سورة البقرة وقفة طويله- انظر كتابه : (من بديع لغة التنزيل، ص١٠، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة عمان- ١٩٨٤).

حكاية لخالد بن صفوان[1]

قال خالد بن صفوان: دخلت على ابي العباس– وهو خالي – المجلس، فقلت: ياأمير المؤمنين، ان رأيت أن تأمر بحفظ الستر، لألقي اليك شيئا وأنصحك به – أو قال فيه– فأمُرْ بذلك، فقلت: يا أمير المؤمنيين، فكرت في هذا الامر الذي ساقه الله اليك، وَمَنّ به عليك فرأيتك ابعد الناس من لذّاته، وأتعب الخلق فيه، قال : وكيف ذاك يا خالد؟ قلت: باقتصارك من الدنيا على أمرأة واحدة، (مع أن النساء انواع وألوان) فقال: يا خالد، هذا أمر مامرّ بسمعي، واستأذن في الانصراف، فأذن له. وخرجت اليه امّ سلمة وهو ينكت بالقلم على دواة بين يديه، فقالت : يا أمير المؤمنين أراك مفكراً، انتقض عليك عدو! قال: كلا، ولكن كلام القاه الي خالد بن صفوان فيه نصيحتي، وشرح ذلك لها .

قالت: فما قلت لأبن الملعونه؟ قال : ينصحني وتشتمينه فقامت عنه، وبعثت الى مائة من مواليها، فقالت: لهذا اليوم اتخذتكم واعددتكم، امضوا الى خالد بن صفوان، فحيث وجدتموه فأهووا الى اعضائه عضواً عضواً فرضوها. فطلبت ومررت بقوم احدثهم؛ اذ اقبل القوم فدخلت في جملتهم، ولجأت الى دار، ووقعت الغلة فرضوها بالأعمده. وبقيت لا تضلّني سماء، ولا تقلّني أرض.

فإني جالس ذات يوم، اذ هجم علي قوم، فقالوا: اجب امير المؤمنيين، فقمت ولا أملك من نفسي شيئاً، حتى دخلت عليه وهو في ذلك المجلس، وأنا اسمع حركة من وراء الستر، فقلت: أم سلمة والله؟ .

فقال: ياخالد، أين لا تُرى ؟ قلت :كنت في غلة لي، ثم قال: الكلام الذي كنت اتيته في بعض الأيام، أعده عليّ . قلت : نعم ياأمير المؤمنيين، إن العرب اشتقت اسم الضرة من الضرّ، وإن الضرائر شر الذخائر، والإماء آفة المنازل، ولم يجمع رجل بين امرأتين الا كان بين جمرتين: تحرقه واحدة بنارها، وتلحقه الأخرى

---

(١) من كتاب (المحاسن والمساوىء) للبيهقي: ص ٨–١٠

بشرارها! قال: ليس هذا هو ! قلت: بلى . قال: ففكَّر وتذكَّر، قلت: نعم ياأمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث اذا اجتمعْن كنا كالأثافي المحرقة، وإن الاربع يتغايرن فلا يصبْرن ولا يهوين ويتعالين، وإن أعطين لم يرضين.

قال: لا والله، ما هو هذا . قلت: ياأمير المؤمنين، وأخبرتك أن الاربع هم ونصب وضَجَر ، إنما صاحبهن بين حاجة تطلب ، وبليّةٍ تُرتَقب، إن خلا بواحدة منهن خاف شر الباقيات، وإن آثرها كنّ له أعدى من الحيات. وأخبرتك ان الجواري رجال خُرُق لاحياة فيهن، قال: لا والله ما هو هذا! قلت : بلى، وقلت لك : إن بني مخزوم ريحانة العرب، وكنانة بيت قريش، وعندك ريحانة الرياحين وسيدة نساء العالمين، وحدثتني أنك تهمُ بالتزوج، فقلت لك : هيهات! تضرب في حديد بارد! ليس ذلك بكائن آخر الزمان المعاين، قال ويلك، أتستعمل الكذب قلت: فمع السيوف لعب؟! قال: فاذهب فإنك اكذب العرب قلت: فأيهما أصلح ؟ أكذب أم تقتلني أم سلمة ؟ فاستلقى ضاحكا وقال : اخرج. قبحك الله ! وارتفع الضّحك من وراء السّتر، وانصرفتُ الى منزلي ، فاذا خادم لأم سلّمة ومعه خمس بِدَر، وخمسة تخوت، وقال : الزم ما سمعناه منك

٦- تعليق على الحكاية

خالد بن صفوان أحد رجالات العرب المشهورين في صدر الدولة العباسية ذكره الجاحظ في كتابه" البيان والتبيين" كما ذكره المبرّد في كتابه" الكامل في اللغة والأدب " غير مرة، وأورد أنه كان يغشى مجالس الأمراء والولاة.
ويتكلم عندهم[١] لكن لسانه كان يزلّ أحياناً، فيوقعه في الحرج. كما حدث له عند بلال بن أبي بردة والي البصرة[٢] .

(١) انظر كتاب الكامل للمبرد، حـ١، ص ٢٤٦ حـ٢: ٢٨٣ مكتبه المعارف - بيروت (د.ت) .

(٢) انظر المصدر نفسه : ٢٦٢-٢٦٣، جـ ١.

اما الحكاية فتصوّره ، وقد اوقعه لسانه في مأزق حرج، إذ دخل ذات يوم على أبي العباس السفاح، أول الخلفاء العباسيين، فنصح له وهو يحادثه بأن يتزوج من اخرى، وبالا يقتصر من الدنيا على امرأة واحدة، وهي زوجه أم سلمة، فلما تناهى الخبر اليها غضبت غضباً شديداً، وطلبت الى مئة من مواليها ان يمضوا اليه ، وأن يضربوه بالأعمدة، فلما هاجموه بغتة هرب، واضطروه الى الاختفاء ... بل اضطرته أم سلمة الى ان يتراجع عن نصحه للخليفة، حين استدعاه ثانية، غير مبال بأن ينقض رأيه الأول.

أما الحكاية من الناحية الفنية فيلاحظ أنها تكاد تستوفي العناصر الأساسية للقصة القصيرة ، وأهم هذه العناصر المتوفرة فيها هي :

١. البداية المشوقة

فقد بدأت بداية لافتة مثيرة للتشوق وحب الاستطلاع ، موحية بحتميه الصراع بين خالد بن صفوان وبين أم سلمة ؛ وذلك إذ باح لها الخليفة بما نصحه له خالد، والذي من شأنه أن يشعر كل زوجة في الغالب أنها أمام مشكلة قاسية صعبة!

٢. الحبكة والشخصية :

وهنا ينبغي ملاحظة أن روعة الحكاية وطرافتها تقوم في الغالب على طريقة حبكتها إذ نرى في البداية خالد بن صفوان يوقع أم سلمة في مأزق حرج ، حين يشير على الخليفة بالزواج من أخرى ، ولكنه بهذا يوقع نفسه في مأزق مماثل ايضاً ، حين تردّ امّ سلمة عليه بإرسالها مئه من عبيدها ، قائلة لهم: اهووا الى اعضائه عضواً عضواً فرضّوها ....، مما يضطره الى الهرب والاختفاء ويصور لنا خالد شدة وقع الأمر عليه بقوله: وبقيت لا تظلني سماء ، ولا تقلّني ارض ، والطريف في الحكاية أن كلا المأزقين مرتبط بالآخر ، يهدد حياة صاحبه وألا سبيل لخلاص خالد خاصة من مأزقه إلاّ بتخليصه أم سلمة من المأزق، الذي أوقعها فيه، وذلك بصلاح ما أفسده عليها عند الخليفة!

٣. الصراع وعنصر التشويق

وهذا العنصر موجود على نحو ظاهر في الحكاية ، إذ إن أم سلمة حين يوقعها خالد في مأزق تدخل في صراع معه يوقعه هو الآخر في مأزق ، فيحاول الخلاص منه ببذل جهده عند الخليفة ، لاقناعه بالعدول عن فكرة الزواج بأسلوب يناقض أسلوبه الأول في إغرائه ، غير حافل باستهجان الخليفة وتكذيبه، وهذا الصراع كله يملأ الحكاية الصغيرة بالحيوية والإثارة.

٤. النهاية :

وتبدو في الحكاية طريفة مفاجئة ، لكنها تبدو ايضاً منطقية طبيعية، لا تكلّف فيها ولا تعسف، وهي من جهة أخرى نهاية فرحة سعيدة لكلتا الشخصيتين الأساسيتين في الحكاية ، فكل منهما تنجح في الخلاص من مأزقها ، بل ينتهي الصراع بينهما الى ما يشبه الاتفاق أو التفاهم ، وذلك من خلال إرسال أم سلمة الى خالد خمس بدر وخمسة تخوت، بعد أن كانت تريد قتله .

٥. اللغة والأسلوب

أما اللغة فهي فصيحة جزلة، مأنوسة ، وأما الأسلوب فهو أسلوب سرد الحكاية القديمة وهو من الناحية اللغوية يتسق والأسلوب النثري الذي كان شائعاً في صدر الدولة العباسية، فهو مرسل، لا أثر فيه للتكلف البديعي الذي سنراه في المقامات.

****

حكاية عروة بن مَرثد

للجاحظ

".. قال بشْر بن سعيد: كان بالبصرة شيخ من بني نهشل، يُقال له: عروة بن مَرْثد ، نزل ببني أخت له في سِكّه بني مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم الى ضياعهم، وذلك في شهر رمضان ، وبقيت النساء يصلين في مسجدهم، فلم يبقَ في الدار إلا كلب يَعُس، فرأى بيتاً فدخل ، وانصفق الباب، فسمع الحركة بعض الإماء، فظن أنّ لصاً دخل الدار، فذهبت إحداهن الى أبي الأعز (عروة) ، وليس في الحيّ رجل غيره ، فأخبرته، فقال أبو الأعز:" .. ما يبتغي اللصّ منا؟! ".. ثم أخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت ، فقال إيه، ياملأ مان، أما والله إنك بي لعارف، وإني أيضاً لعارف ، فهل أنت إلا من لصوص بني مازن ، شربت حامضاً خبيثاً، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك ، منّتك نفسك الأماني.، وقلت : دور بني عمرو ، والرجال خلوف، والنساء يصلين في مسجدهم، فأسرقهن،، سوْأة والله؟ ما يفعل هذا الأحرار ولبئس والله ما مَنّتْك نفسك، فاخرج وإلاّ دخلت عليك ، فصرمتك مني بالعقوبة ،... لأيم الله لتخرجنّ أو لا هتفنّ هتفة مشؤومة عليك، يلتقي فيها الحيان: عمرو وحنظله، ويصير أمرك الى تباب، ويجيء سعد بعدد الحصى ، ويسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا، ولئن فعلت لتكوننّ أشأم مولود في تميم .

فلما رأى أنه لا يجيبه، أخذ باللين وقال:

.. اخرج يابنيّ وأنت مستور ، والله ما أراك تعرفني، ولو عرفتني لقنعت بقولي، واطمأننت إلي: أنا عروة بن مرثد، أبو الأعز المرثدي، وأنا خادم القوم، وجلدة مابين أعينهم، لا يعصونني في أمر، وأنا لك بالذمه كفيل خبير، أصيرك بين شحمة أذني، وعاتقي، ولاتضار، فاخرج أنت في ذمتي، وإلا فإن عندي قوصرتين[1]

(١) القوصرة: وعاء من قصب يُجعل فيه التمر

احداهما لابن اختي البار الوصول ، فخذ احداهما فانتبذها حلالاً من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، وإذا سكت وثب يريغ المخرج ، فتهافت الاعرابي ، ثم قال:

– ياألأمَ الناس وأوضعهم، آلا يأنى لك أنا منذ الليلة في واد، وأنت في آخر، إذا قلت لك: السوداء والبيضاء تسكت وتطرق، فاذا سكت عنك، تريغ المخرج، والله لتخرجنّ بالعفو عنك، أو لألِجَنَّ عليك البيت بالعقوبة .

.. فلما طال وقوفه (وتردّده) ، جاءت جارية من إماء الحي، فقالت : أعرابي مجنون، والله ما أرى في البيت شيئاً، ودفعت الباب ، فخرج الكلب شداً، وحاد عنه أبو الأعز مستلقياً، ثم قال: تالله ما رأيت كالليلة ، ماأراه إلا كلبا، أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه (١).

• تعليق

أبو عثمان الجاحظ هو عمرو بن بحر ، إمام الأدب العربي القديم ، ولد ونشأ في البصرة ، مدينة العلم في زمانه، وقد عاش حياة مديدة خصبة حافلة بالعطاء والانتاج، ظل فيها يكتب ويؤلف حتى توفي عام ٢٥٥ للهجرة، وقد عدد ياقوت الحموي في كتابه" معجم الادباء" اسماء مئة وثمانية وعشرين كتاباً من كتب الجاحظ ، ولكن معظم هذه الكتب لم يعثر عليه بعد اذ لم يصل الينا منها سوى نحو ثلاثين كتاباً و رسالة، من أهمها " الحيوان" و " البيان والتبيين" و "البخلاء"و" رسائل الجاحظ".

اما حكايته " عروة بن مرثد" فهي مأخوذة من كتابه"الحيوان"، وفي هذه الحكاية يتبين لنا فن الجاحظ القصصي، ومقدرته على التصوير الساخر، ويتجلى هذا كله لنا من خلال التمعن في البداية والحبكة والشخصيات والبيئة والنهاية او الخاتمة.

---

(١) الحيوان ، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢ تحقيق عبد السلام هارون.

١. البداية :

وتبدو لنا مثيرة لحب الاستطلاع والتشويق، إذ يمهّد فيها تمهيداً مناسباً للحدث حتى يبدو لنا طبيعياً منطقياً في ظل تلك الملابسات او الظرف الخاص، أن تفرغ الإماء الى عروة أبي الأعز ما دام لم يبق من الرجال في الحيّ سواه ، كذلك من المنطقي الطبيعي أن الضيف عروة لا يستطيع ان يتقاعس، وأن يظهر الخوف والجبن ، وإنما ان يهب دون تردد، فيأخذ عصاه، وهو يتساءل وما يبغي اللص منا؟ ولكن ليجد نفسه في النهاية قد زج به في مأزق، وورّط في ورطة لايدري هو – ولا ندري نحن معه – كيف يكون خلاصه منها ؟.

٢. الحبكة:

وقد عني بها الجاحظ في حكايته عناية فائقة ، حتى بدت ناجمة من تشابك منطقي لأحداث مختلفة، منطقية الوقوع، يضطرب خلالها عروة بن مرثد أيما اضطراب ، فهو من جهة لا يستطيع الا أن يستجيب لاستغاثة الإماء به، وهو من جهة أخرى لا يجرؤ على فتح الباب، خوفاً من مواجهة اللص الموهوم ، لذا نراه يصارع بطريقة تبدو لنا مُضحكة للخلاص من المأزق الذي ورّط فيه، إذ يأخذ تارةً بتهديد اللص، وطوراً بمخاطبته بالرفق واللين، على حين الإماء يرقبن ما يفعل دهشات متعجبات من تردده، وخطبه التي يلقيها.

٣. الشخصيات :

وأهم شخصية في الحكاية هي شخصية " عروة بن مرثد" وتبدو لنا واضحة الملامح ، تنبض بالحياة ، فهي مرسومة في براعة والجاحظ لا يعمد في أثنا ذلك الى المباشرة، وإنما يترك أبعاد الشخصية تتكشف لنا شيئاً فشيئاً من خلال ما يبدر عنها من سلوك و قول ، خلال صراعها للمأزق الذي تواجهه، ومن الشخصيات الأخرى في الحكاية الإماء، وصورتهن من الداخل لا تبدو واضحة لنا، لأن دورهن

ثانوي ، فلا نسمع حديثهن الذي قد يظهر شخصياتهن، باستثناء الأمة التي تتجرأ على فتح الباب، وهي تقول عن عروة: "... أعرابي مجنون ، والله ما أرى في البيت شيئاً".... ويلاحظ أن الجاحظ لم يغفل في الحكاية القصيرة عن رسم الشخصية الحيوانية فيها، وهي شخصيته (الكلب) االذي يشارك عروة المأزق نفسه، فهو " كان إذا سمع الكلام أطرق، واذا سكت عروة وثب يريغ المخرج فالكلب الذي انصفق الباب إثر دخوله ، كان يشعر بغريزته أنه في مأزق ، ومن ثم كان يتلمس منفذاً للخروج.

٣. البيئة:

والجاحظ لا يغفل في حكايته عن تصوير البيئة الزمانية و المكانية ، فالزمان الذي وقع فيه الحدث هو ليلة من ليالي شهر رمضان، وأما المكان فهو سكة بني مازن بالقرب من البصرة ، والرجال في ضياعهم البعيدة، وأما النساء فهن يصلين في المسجد .

٤. النهاية :

وقد حرص فيها الجاحظ على أن تكون مفاجئة لقارئه، اذ بينما حب الاستطلاع يبلغ عنده الذروة، وهو يرى عروة يخاطب اللص الموهوم، وهو لا يجرؤ على فتح الباب، إذ يتدخل عامل خارجي ، لم يكن في حسبانه، حين تضيق إحدى الإماء بفته ذرعاً بجبن عروة وتردده ، فتندفع وتفتح الباب، وإذا الذي في الداخل ليس لصاً، كما يعتقد الجميع، وانما هو كلب يخرج شداً، ويحيد عنه عروة ، ولكن بعد أن يقع ويستلقي على الأرض ، وهو يقول في ذهول:

" تالله ما رأيت كالليلة، ماأراه كلباً، أما والله لو علمت بحالة لولجت عليه"

******

المقامة المضيرية [1]

لبديع الزمان

ثنا عيسى بن هشام قال: كنت بالبصرة ومعي أبو الفتح الاسكندريُّ رجل
ة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعهُ. وحضرنا معه دعوة بعض التجار
الينا مَضيره تُثنى على الحضارة وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة.
لمعاوية رحمه الله بالإمامة. في قَصعة يزل عنها الطرفُ. ويموج فيا الظرفُ
خذت من الخوان مكانها. ومن القلوب أوطانها. قام أبو الفتح الاسكندري
وصاحبها، ويمقتها وآكلها، ويثلبها وطابخها. وظنناهُ يمزح فإذا بالامر
. وإذا المزاح عين الجدِّ وتنحى عن الخُوان. وترك مساعده الإخوان.
ا فارتفعت معها القلوب، وسافرت خلفها العيون وتحلبَتْ لها الأفواهُ.
ت لها الشفاه، واتقدت لها الاكباد ومضى في إثرها الفؤاد. ولكنا ساعدناه
جرها. وسألناه عن أمرها. فقال: قصتّي معها أطول من مصيبتي فيها. ولو
م بها لم آمَنِ المقت. وإضاعة الوقت. قلنا: هات، قال: دعاني بعض التجار
سيرة وأنا ببغداد ولزمني ملازمة الغريم، والكلب لأصحاب الرقيم. الى أن
إليها وقمنا فجعل طوال الطريق يثني على زوجته، ويفديها بمهجته، ويصفُ
في صنعتها. وتأنقها في طبخها ويقول: يامولاي لو رأيتها، والخرقة في
ا، وهي تدور في الدور. من التنور الى القدور الى التنور، تنفُثُ بفيها النار.
يديها الأبراز. ولو رأيت الدخان وقد غَبر في ذلك الوجه الجميل، وأثر في
خدَّ الصّقيل. لرأيت منظرا تحار فيه العيون، وأنا عشقها لأنها تعشقني، ومن
ة المرء أن يُرزق المساعدة من حليلته. وأن يسعد بظعينته، ولا سيما إذا كانت
نته، وهي ابنة عمي لحاً. طينتها طينتي. ومدينتها مدينتي وعمومتها عمومتي.
ا أرومتي لكنها أوسع مني خَلقاً. وأحسن خُلقاً وصدّعني بصفات زوجته.

---

[1] يع الزمان الهمذاني. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: ص ١٠٤.

حتى انتهينا الى محلته.ثم قال: يامولاي ترى هذه المحلةَ أشرف محلة ببغداد يتنافس الأخيار في نزولها. ويتغاير الكبار في دخولها. ثم لا يسكنها غير التجار. وأنما المرء بالجار. وداري في السّطة من قلادتها. والنقطة من دائرتها. كم تقدر يامولاي أنفق على كل دارمنها قلة تخميناً. إن لم تعرفها يقيناً. قلت الكثير فقال ياسبحان الله ما أكبر هذا الغلط.. تقول الكثير فقط. وتنفّس الصعداء وقال سبحان من يعلم الأشياء . وانتهينا الى باب داره. فقال: هذه داري كم تقدر يامولاي انفقت على هذه الطاقة. انفقت والله عليها فوق الطاقة. ووراء الفاقة. كيف ترى صنعتها وشكلها. أرأيت بالله مثلها. انظر الى دقائق الصنعة وتأمل حسن تعريجها فكأنما خط بالبركار. وانظر الى حذق النجار في صنع هذا الباب. اتخذته من كم؟ قل: ومن أين أعلم. هو ساجٌ من قطعة واحدة لا مروض ولا عفن. اذا حرك أن. واذا نقر طن. من اتخذه ياسيدي اتخذه ابو اسحاق بن محمد البصري وهو والله رجل نظيف الأثواب بصير بصنعة الأبواب. خفيف اليد في العمل لله درّ ذلك الرجل بحياتي لا استعنتُ الا به على مثله. وهذه الحلقة تراها اشتريتها في سوق الطرائف من عمران الطرائفي بثلاثة دنانير معزّية وكم فيها ياسيدي من الشبه[1] فيها سته ارطال وهي تدور بلولب في الباب بالله دورها. ثم انقرها وابصرهاوبحياتي عليك لا اشتريت الحلق الا منه فليس يبيع الا الأعلاق. ثم قرع الباب ودخلنا الدهليز وقال عمركِ اللهُ يادار. ولا خرّبكِ ياجدار فما أمتّنَ حيطانك واوثق بنيانكِ واقوى أساسك تأمل بالله معارجها، وتبين دواخلها وخوارجها. وسلني: كيف حصلتها وكم من حيلة أحتلتها حتى عقدتها كان لي جار يكنى أبا سليمان، يسكن هذه المحلة وله من المال مالا يسعهُ الخزنُ. ومن الصّامت مالا يحصرهُ الوزن. مات رحمه الله، وخلف خلفاً اتلفه في الخمر والزمر. ومزّقهُ بين النرد والقمر. وأشفقت أن يسوقه قائد الإضرار الى بيع الدار، فيبيعها في اثناء

---

(١) الشبه: النحاس الأصفر

الضجر أو يجعهلها عرضة للخطر. ثم أراها. وقد فاتني شراها. فأتقطعُ عليها حسرات.إلى يوم الممات، فعمدت إلى أثواب لا تنضُّ تجارتها فحملتها إليه وعرضتها عليه. وساومته على أن يشريها نسيّة. والمدبر يحسب النسية عطية . والمتخلف يعتدّها هدية وسألتُهُ وثيقة بأصل المال ففعل وعقدها لي. ثم تغافلت عن اقتضائه حتى كادت حاشية حالة ترقّ فأتيته فاقتضيتُه واستمهلني فأنظرتُهُ. والتمس غيرها من الثياب فحضرته وسألته أن يجعل داره رهينة لدي . ووثيقة في يدي . ففعل ثم درجته بالمعاملات الى بيعها حتى حصلت لي بجدّ صاعد. وبخت مساعد وقوة ساعد ورُب ساع لقاعد، وأنا بحمد الله مجدود. في مثل هذه الأحوال محمود. وحسبك يامولاي أني كنت منذ ليالٍ نائماً في البيت مع من فيه إذ قُرع علينا الباب، فقلت: من الطارقُ المنتاب فإذا امرأة معها عقد لآلٍ في جلده ماء ورقه آل تعرُضه للبيع. فأخذته منها إخذة خلس. واشتريته بثمن بخس. وسيكون له نفع ظاهرٌ. وربح وافر. بعون الله ودولتك. وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم سعادة جَدّي[1] في التجارة والسعادة تنبض الماء من الحجارة. الله اكبر لا ينبئك أصدق من نفسك ولا اقرب من أمسك أشتريت هذا الحصير في المناداه وقد اخرجَ من دور الفرات وقت المصادرات وزمن الغارات وكنت أطلب مثله منذ الزمان الأطول فلا أجد. والدهر حبلي ليس يُدرى مايلدُ ثم اتفق أني حضرت باب الطاق . وهذا يعرض في الأسواق. فوزنت فيه كذا وكذا ديناراً تأمل بالله دقتُهُ ولينهُ وصنعته ولونه فهو عظيم القدر. لا يقع مثله إلا في الندر وإن كنت سمعت بأبي عمران الحصيري فهو عمله وله أبن يخلفه الآن في حانوته لا يوجد اعلاق[2] الحصر الا عنده فبحياتي لا اشتريت الحصر الا من دكانه فالمؤمن ناصح لإخوانه. لاسيما من تحرم بخوانه. ونعود الى حديث المضيرة فقد حان وقت الظهيرة. ياغلام الطّست والماء. فقلت: الله

---

(١) الجَدّ : الخط

(٢) اعلاق: جمع عِلْق وهو الشيء النفيس

اكبر ربما قرب الفرج وسهل المخرج وتقدم الغلام فقال : ترى هذا الغلام انه رومي الأصل عراقي النشيء . تقدم يا غلام واحسر عن رأسك وشمر عن ساقك وانض عن ذراعك وافتر عن اسنانك. واقبل وادبر ففعل الغلام ذلك. وقال التاجر بالله من اشتراه. اشتراه والله ابو العباس من النخّاس . ضع الطّست وهات الأبريق فوضع الغلام وأخذه التاجر وقلبه وأدار فيه النظر ثم نقره فقال : أنظر الى هذا الشبه كأنه جذوة اللهب. او قطعة من الذهب شَبَهُ الشّام وصَنْعةُ العراق. ليس من خُلقان الأعلاق. قد عرف دور الملوك ودارها تأمل بالله حسنه وسلني متى اشتريته والله عام المجاعة. وادخرتُهُ لهذه الساعة. ياغلامُ الإبريق فقدمه وأخذه التاجر فقلبه ثم قال : وانبوبه منه لا يصلح هذا الإبريق الا لهذا الطّست ولا يصلح هذا الطّست إلاّ مع هذه الدّسْتِ ولا يحسن هذا الدست الا في هذا البيت ولا يجمل هذا البيت إلا مع هذا الضيف. أرسل الماء ياغلام. فقد حان وقت الطعام. بالله ترى هذا الماءَ ماأصفاهُ أزرقُ كعين السنّور. واف كقضيب البلور. استقى من الفرات واستعمل بعد البيات، وليس الشأن في السقاء، والشأن في الإناء. لا يدلُّك على نظافة أسبابه، أصدق من نظافة شرابه. وهذا المنديل سلني عن قصته فهو نسيج جرجان. وعمل أرجان، وقع إلى فاشترتُهُ فاتخذت امرأتي بعضه سراويلا، واتخذت بعضه منديلاً. دخل في سراويلها عشرون ذراعاً، وانتزعت من يدها هذا القدر انتزاعاً، وأسلمته إلى المطرز حتى صنعه كما تراه وطرّزه. ثم رددتُهُ من السوق، وخزنتُهُ في الصندوق، وادخرته للظراف. من الأضياف. لم تذله عرب العامة بأيديها، ولا النساء لمآقيها. فلكلّ علقٍ يوم . ولكل آلة قومٌ . ياغلام الخُوان. فقد طال الزمان. والقصاع . فقد طال المصاع. والطعام . فقد كثر الكلام. فأتى الغلام بالخوان ، وقلبه التاجر على المكان، ونقره بالبنان، وعجمهُ بالأسنان وقال: عمّرَ الله بغداد فما أجود متاعها. وأظرف صنّاعها. تأمل بالله هذا الخوان. وانظر إلى عرض متنه، وخفّةِ وزنه، وصلابة عوده وحسن شكله. فقلت: هذا الشكل .. فمتى الأكل؟ فقال

الآن: عجل ياغلام بالطعام لكن الخوان قوائمه منه، قال أبو الفتح.. فجاشت نفسي وقلت: قد بقي الخبز وآلاته . والخُبز وصفاته. والحنطة من أين اشتريت أصلاً . وكيف اكترى لها حملا. وفي أيّ رحى طحن، وإجانه عَجَنَ، وأيّ تنور سجر. وخباز أستأجرَ، وبقي الحطبُ من ينَ احتطبَ. ومتى جُلبَ وكيف صُفِّفَ حتى جفّف. وحُبِسَ حتى يبِس، وبقي السكُرُجات من اتخذها وكيف انتقدها. ومن استعملها. ومن عملها. والخل كيف انتقي عنبُهُ. و اشتري رُطَبُهُ ، وكيف صُهرِجت معصرتُه واستخلص لبه وكيف قُبر حبّه. وكم تساوي دنّه وبقي البقل كيف احتيل له حتى قطاف. وفي أي مبقلة رُصف. وكيف تؤنق حتى نُظف . وبقيت المضيرةُ كيف اشري لحمها. ووفيَ شحمها. ونصبت قدرها. وأججت ناها. ودُقت أبزارها. حتى أجيد طبخُها وعقّد مرقُها. وهذا خطبُ يَطُمُّ. وأمرٌ لا يتمُّ. فقمت ، فقال : أينَ تُريدُ فقلت: حاجة أقضيها . فقال : يامولاي تريد كنيفاً يزري بربيعي الأمير، وخريفي الوزير. قد جُصّص أعلاه وصهرجَ اسفلهُ وسطّح سقفه وفرش بالمرمر أرضهُ . يزل عن حائطه الذرُّ فلا يعلق. ويمشي علي ارضه الذُباب فيزلق. عليه بابٌ غيرانه من خايطي ساج وعاج مزدوجين حسن ازدواج. يتمنى الضيف أن يأكل فيه . فقلتُ: كل أنت من هذا الجراب. لم يكن الكنيف في الحساب. وخرجت نحو الباب. وأسرعت في الذهاب، وجعلت أعدو وهو يتبعني ويصيح يا أبا الفتحِ المضيرةَ. المضيرة، وظنّ الصبيان أن المضيرةَ لقب لي فصاحوا صياحه فرميت أحدهم بحجر. من فرط الضجر. فلقي رجل الحجرَ بعمامته. فغاص في هامته. فأخذت من النعال بما قدُمَ وحدث. ومنَ الصفع بما طاب وخبُث. وحشرت إلى الَحبْس. فاقمتُ عامين في ذلك النحس. فنذرت أن لا آكل مضيرة ما عشت ، فهل أنا في ذا يا آل همذان ظالمٌ. قال عيسى بن هشام :فقبلنا عذره. ونذرنا نذره. وقلنا قديماً جنتِ المضيرة على الاحرار. وقدمت الأراذل على الأخيار.

تعليق على المقامة

بديع الزمان الهمداني اديب مشهو من ادباء القرن الرابع عشر نشأ في بهذمان، أحد مدن بلاد فارس ودرس العربية والأدب وبرع فيهما ثم رحل الى نيسابور وهناك ذاع صيته بعد أن أخذ يكتب المقامات ثم أخذ يتجول في المدن والقرى الفارسية ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان بلدة إلا دخلها واستفاد خيرها[1]، وقد مات وهو في سن الأربعين، سنه ثمان وتسعين وثلاث مئة، وشهرة بديع الزمان الهمذاني في الأدب العربي تقوم على فنه في كتابة المقامات وهو فن قد ابتدعه هو في الغالب[1] وإن زعم الدكتور زكي مبارك أن ابن دريد (ت:٣٢١هـ) سبقه الى ذلك، معتمداً على رواية للحصري في "زهر الآداب" [2] وأذن فالرأي الغالب أن فن المقامة هو من ابتداع بديع الزمان، وأن الحريري قد قلده فيه في مقاماته المعروفة،كما اعترف هو في المقدمة بذلك.

أما المقامة من الناحية الاصطلاحية : فهي في الغالب حديث قصير مشوق يعتمد أسلوب المحسّنات البديعية من سجع وجناس وطباق وغيرها، وهذا الحديث يرويه راوية جوال عن شخصيه أخرى تقوم بالحوادث[1] وهي شخصية رجل فصيح... بليغ... شاعر...، لكنه فقير الحال، يشكو من سوء الحظ في الدنيا، ولذا فهو يعمد إلى الحيلة الطريفة، معتمدا على بلاغته وبيانه الساحر لدفع الناس الى مساعدته، بعد أن يظهر أمامهم، منتحلاً شخصيات مختلفة، والراوية في

---

(١) انظر ترجمة بديع الزمان الهمداني في مقاماته ص٨ تحقيق محمود محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

(١) المصدر السابق: ص٨

(٢) انظر" اصول المقامات"للدكتور ابراهيم السعافين: ١٢"دار المناهل – بيروت ١٩٨٧

(١) المرجع السابق :ص ١٧

مقامات بديع الزمان هو عيسى بن هشام، وانْ نجده احياناً هو صاحب الحدث[٤].
وأما الذي يصطنع الحيل ، والكُديَة ويكون صاحب الحدث فهو ابو الفتح الاسكندري، أما المقامة المضيرية فلا تبدو شخصية ابي الفتح الاسكندري فيها جلية كبقية المقامات، نحو المقامة الموصلية[٥] وذلك لأنها تقدم لنا شخصية ظريفة، تكاد تستغرق المقامة كلها، وهي شخصية المضيف الثرثار، التاجر البغدادي ، على أن المقامة المضيرية شهرة خاصة، من بين مقامات البديع كلها، فنحن نجدها تدرس، في الجامعات والكليات، وذلك لأن فن البديع القصصي يتجلى خلالها على نحو رفيع فهي تكاد تستوفي شروط القصة القصيرة، على اختلاف عناصرها وأهم هذه العناصر هي :

١. البداية المشوقة:

تبدو حين ينهض أبو الفتح من بين الضيوف، فيلعن المضيرة وأصحابها ويمقتها وآكلها-ويثلبها وطابخها، على نحو مستهجن، يثير حب استطلاع الموجودين.

٢. الشخصية :

روعة المقامة تقوم على تقديمها لشخصية انسانية ظريفة، لافته، وهي شخصية المضيف الثرثار الذي لا يكاد يسكت، وانما يتحدث عن كل شيء يصادفه، وهو يعوزه الذوق، إذ يتحدث عن زوجته دون داع ودون تحرج، كما يتحدث عن الكنيف ويصفه، وتتجلى قله ذوقه حيث يقول لأبي الفتح أن الضيف يشتهي أن يأكل فيه!..
وأما الصفة الثالثة التي نلمحها في الشخصية فهي صفة التاجر الأنتهازي الذي يستغل اضطرار الناس الى بيع ممتلكاتهم، بسبب الحاجة الى المال فيأخذها منهم

(٤) انظر : المقامة البغدادية ص ٧١

(٥) أنظر مقامات بديع الزمان: ص ١١٣

أخذهخَلْسْ، إذ يعترف انه أخذ داره من تاجر مضطر، بعد أن ورطه في الدين، كما أخذ عُقد لؤلؤ من أمرأه محتاجة، كذلك اشترى الأبريق النفيس عام الجماعة.

وتتجلّى مقدرة بديع الزمان القصصية حين يرسم أبعاد هذه الشخصية بأسلوب موحٍ رائع، إذ يستغل الصفة الأساسية فيها، وهي الثرثرة، فيجعلها تبوح لنا بالكثير، الذي يضيء جوانبها المختلفة، وهذه الشخصية على الرغم من عيوبها تبدو لنا طريفة ظريفة تنبض بالحياة، إذ نشعر أنها واقعيه، قد صادفنا ما يشبهها حقاً في المجتمع، ونحن لا نبالغ إذا قلنا: انه قلما استطاع قاص حديث أن يقدم لنا شخصية انسانية لافته، تنبض بالحياة خلال صفحات قليلة كما استطاع بديع الزمان.

٣. الحبكة:

وتتجلى لنا في المقامة من خلال هذا المأزق الذي يقع فيه ابو الفتح، فهو يشعر بالضيق الشديد من ثرثرة المضيف، ومن تأخيره للطعام، ولكنه لا يستطيع أن يزجره أو ينهره، لأنه ضيفه وفي داره! على انه يحاول في أدب أن يلفته الى ضرورة الكف عن الثرثرة وإحضار الطعام ولكن دون جدوى! تأمل بالله هذا الخُوان.. وحسن شكله، فقلت: هذا الشكل ، فمتى الأكل ؟!.

٤. عنصر التشويق :

ويقوم في الحكاية على شيئين أساسيين الأول هذه الشخصية الأنسانية الغريبة الظريفة والثاني صراع ابي الفتح للخلاص من مأزقه، إذ لا ريب أن حب الأستطلاع يدفعنا الى متابعة القراءة لنرى: هل سيقدم المضيف الثرثار الطعام الى أبي الفتح حقاً ، وماذا سيفعل ابو الفتح للخلاص من مأزقه؟!.

٥. النهاية :

وتبدو مفاجئة، ولكنها واقعية منطقية ، توقع ابا الفتح في مأزق آخر، كان حظه فيه الصفع والضرب بالنعال والإقامة في السجن مدة سنتين! وهذه النهاية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبداية، فهي مسوّغ منطقي للعقدة التي أصيب بها أبو الفتح والتي لها علاقة بطعام المضيرة!.

٦. الأسوب القصصي :

أما الأسلوب القصصي الذي ابدعه بديع الزمان في المقامه فهو أسلوب مناسب، لعرض الحدث، وهو اسلوب لا يزال يستعمل في العصر الحديث ، وهو ما يسمى بأسلوب الرجوع بالحدث إلى الخلف Flash back، فقد بدأت المقامة بحدث حاضر، وهو تقديم طعام المضيرة ، ثم اخذت تحكي حدثاً ماضياً وقع لأبي الفتح، ثم عادت في النهاية الى حدث البداية، وبدا هذا كله طبيعياً منطقياً مترابطاً.

وأما أسلوب المحسنات البديعية الذي اعتمده بديع الزمان في المقامه، فيبدو سائغا مقبولا، بل جميلا مناسباً، لا نشعر فيه بالتكلّف وبالتضحية بالمعنى وبالفن القصصي في سبيل الحِلْية اللفظية ، ومن جهة أخرى فالمقامة وثيقة حية، تصوّر لنا مستوى المعيشة الرفيع، الذي وصل إليه الأثرياء في بغداد خلال القرن الرابع للهجرة..

****

عزيزَ قومٍ ذلّ

لابن الداية

وحدثني [*] أحمد بن أيمن [1]، قال : كنتُ أكتبُ في حداثتي للعباسِ بن خالدِ البرمكيْ. وكان طويلَ اللسانِ، مخشيُّ الغضبِ. فإني لجالسٌ بينَ يديه في داره بمدينةِ السلامِ حتى دَخَلَ علينا شابٌ حَسَنُ الصورة، رثُّ الهيئة، فأكبَ عليه فقال: ألستَ بنَ فُلانٍ صديقُنا؟ فقال: نعم ياسيدي! فقال: قد كان حَسَنَ الظُّهر، جميلَ الهيئة، فما بلَغَ بكَ إلى ما أرَى؟ قال: كانَ تَجَمُّلُهُ أوفى من عائدَتِه[2] وتوفي فكنت أتبلغُ بما يستعمله الموفى على جاهه[3]، الى أن خانَ طبعي البارحة ولم أطقْ سَتْرَ مابي، فقصدتُك. فدعا بمائةِ درهمٍ وقال: تمسك[4] بهذه الى أن انظر لكَ في عائد عليكَ في الشُغْلِ.فلما قام من عنده قال لغلام . يثق به: قُص أثر هذا الفتى فانظر مايبتاعهُ بهذه الدراهم، واحصه عليه حتى يدخل منزلهُ، وأعرف المنزلَ وصرْ إلي. فرَجَعَ إليه وقال: ياسيدي! هذا غلام عيّار[5] ابتاع بنَيفٍ وثلاثين درهماً سميداً[6] وسكراً وعسلاً

(*) المكافأة: ١٦٧-١٧٢

(١) هو كاتب أحمد بن طولون، نكبه بعد أن كان له حظوة عنده(راجع الكافأة ص ٥٩١).

(٢) يريد: كانت مظاهرهُ أعظم من موارده.

(٣) انبلغُ : اكتفي من الفوت بما يصل إليه المشرف على نهاية جاهه.

(٤) أي اقتصد في أنفاق هذه الدراهم.

(٥) العيار في اللغة الكثير المجيء والذهاب، والذكي الكثير النطواف. وقد استعملت الكلمة في النشيط الذكي في ارتكاب الجرائم، والمباهي بجرائمه.

(٦)وهو الدقيق الأبيض من خالص لباب الحنطة

ولحماً كثيراً وحوائجَ الأعراسِ، وأخذ طباخاً من طباخي الأعراس . واحسبُ أنَ عنده دَعوةً، وقد عرفتُ منزلَه فقال : دَعْهُ

فلم تَمْض إلاّ أيامٌ يسيرةٌ حتى وافى الفَتى، فأعرضَ عنه واشتَثْقَل جلوسَه، بين يديه فقال: ياعمي وسيدي ! ليس يُشبهُ هذا اللقاء ما لقيتني به في الأولى ! قال: كنت في الأول راجياً صلاحك، وأنا اليومَ آيسٌ منه، فقال: وكيف ظننْتُ ذلك ! قال: خبَرَني غُلامي أنَكَ أنفقْتَ الى أن بلغت منزلك نيفاً وثلاثينَ درهماً . وكان حقُكَ لا تزيدَ على ثلاثة دراهم . فقال: لو عرفت خَبري لقدمت عُذري. قال : ما خَبَرْك؟ قال : كنت مع تضايُقَ حالي أمسِك نفسي عن المسأله، وأقتصرُ وأهلي على البلغة، وأنا ساكن وأهلي في ظهر دار فلان (ووصف رجُلاً ظاهر اليسار من التُجارِ) وكان له طاقاتٌ في مطبخه تُفْضي الى مَنزلي، فلو لَمَ وليمةٌ لاأشكُ في حُضورِك إياها، فشرِق منزلي بروائح الاطعمه، وكانت الصَبيةُ من صَبيأتي تخرجُ منهن: رائحةُ جَديٍ يُشْوى، وأخرى تقول : رائحة نقانق[1] تُقلى! وهذه تقولُ : " ياأبه ، أشتهي من هذه الفالوذجَ الذي قد شاعت رائحتُه لُقْمَةً ! وقولهم يُقرِحُ قلبي، وأملتُ أن يدعوني فتحمل التزليل[2] لَهُمْ فوالله مارآني أهلاً لذلك ! فقلت: ولعلهُ إذ نَقَصت عنده من منزلةٍ من يُدْعونَ أن يدعَتْ إليَّ ! فوالله ما فعل ؟ فبِتُ بليلٍ لا يبيتُ بها الملدوغ، فاصبحتُ في الغداة، فكنت واثق في نفسي[3] من سائر من مدينة السلامِ فلما أعطيتني تلكَ الدراهم اشتريتُ بها حوائج أُصلحُ منها ما اشتَهوْه، فاكلوا أياماً منها، وهم يدعونَ الله بالأحسانِ اليكَ والخلفِ عليك.

---

(١) وهي اللفانق ايضاً، وهي الأمعاء المحشوة

(٢) التزليل : ما تحمل من مائدة صديقك او قريبك

(٣) أي نفسي من حيث التأميل فيك من سائر من ببغداد

فقال له العباسُ: أحسنتَ باركَ الله عليك! ثم صاحَ ياغلمانُ: أسرِجوا لي، ولبس ثيابَه وركبَ وركِبت مَعَه، ودَخَلَ الى صاحبِ الصَّنيعِ[٤] فقال: دَعَوتني وجماعة من وجوهِ بغدادَ إلى طعامٍ مقتنا الله عليه، وعرضتَ نعمتنا للزوال، وانفسنا الى اخترام الأعمار[١] وقَصَّ قصةَ الفتى وقال: عزمتُ على أن أُصدِّقَ عن كلِ من حَضَرَ وليمَتك[٢] وتكونُ سبباً لتخلُّف الناسِ عنك، والإمساك عن إجابتكَ آخر الليالي[٣]، فقال أنا أفتدي إذا عنك بما اغفلتُ عنه بخمسمائة دينار، قال: أحضِرْها فأحضرها فقال اقبضها فَقَبَضْتُها، ثم رَكِبَ الى جماعةً فقال: أعطوني في معونةِ رجلٍ من أبناء النعمِ اختلّت حالُه، فأخذ منهم خمسمائةِ دينار أخرى، ورَجَعَ إلى منزلِه، وقد كان أمرَ الفَتى ألا يبرح منه، فأدخَلَهُ إليه، وقال: فيمَ تهشُّ اليه من التجارة؟ فقال في صناعة الأنماطِ[٤] فإنها صِناعةُ أسلافِنا، ومن بها يعرفُ حقوقنا، فدعا برجل منهم حَسَنَ اليَسار فأخرجَ إليه الألفَ الدينارَ التي أخذها، فقال: هذا المال لهذا الفتى فليكُنْ في دُكّانك، واشترِ له بها ما يُصلِحُه من المتاع وبَصِرهُ به، ثم قال للفتى: احذر أنّ تُنفق إلاّ مِنْ ربِح! فانصرفَ الفتى وقد رُدَّ عليه سَترُه.

فحلف لي أحمد بنُ أيمنَ: أنّ بضاعَته ثُمِّرَت ورباَحه نصلَتْ وعامَلَ السُّلطانَ، ودخل في جُملةِ التُّجار وجِلّتهِم.

---

(٤) الصنيع: الدعوة

(١) اخترام الأعمار: ذهابها. يقال اخترم فلان بالبناء للمفعول: مات

(٢) أي عزمت على أن اؤدي صدقة عن كل شخص حضر وليمتك حتى ادفع عنهم السوء لأنهم حضروا طعاماً كان غيرهم أحق به.

(٣) أي وتكون أنت بدفعي الى هذه العمل سبباً لتخلف الناس عنك، لأنهم لا يقدمون على طعام رجل يقصر في دعوة من تجيب دعوته، وأخرى الليالي اي ابداً.

(٤) الأنماط: جمع نمط ظهارة الفرش او ضرب من البسط.

التعليق:

ابن الداية هو احمد بن يوسف، من كُتاب مصر المعروفين، في القرن الرابع للهجرة، له عدة مصنفات، منها : " سيرة أحمد بن طولون" و" سيرة هارون بن ابي الجيش"و "أخبار غلمان بني طولون"و" أخبار المنجمين" وقد توفي في سنه ٣٤٠ للهجرة

اما حكاية " عزيز قوم ذل" فهي مأخوذة من كتاب " المكافأة وحسن العقبي" وهو كتاب حكايات تدور حول مكافأة الله سبحانة وتعالى لمن أحسن الى غيره، وأولي الجميل لسواه، و لمن صبر على المكاره، حتى يأذن الله له بالفرج بعد الشدة، وذلك على نحو ما نرى في الحكاية السابقة شاباً حسن الصورة، رث الثياب، وهو يدخل على العباس بن خالد البرمكي، أحد وجهاء الدولة العباسية، ثم يكب على يديه مُقبّلاً وحين يعرف فيه ابن صديق له، يسأله حينئذ عن سبب تردي أحواله، بالقياس الى أحوال أبيه، فيبوح له أن أباه لم يكن في الحقيقة حسن الحال، كما كان يبدو ، وأنما كان فقيراً، ولكنه يتحلى بالصبر على الشدة، ويتستّر على الفقر، حفاظاً على عزّته وكرامته، وإذن فقد كان من هؤلاء الذين ذكرهم القرآن الكريم، أي من الذين يحسبهم الناظر " أغنياء من التعفف" فيعطف حينئذ العباس على الفتى ، ويأمر له بمئة درهم ريثما يتدبّر له عملاً مناسباً ، ثم يرسل وراءه من يستطلع خلسة: ماذا سيفعل بالدراهم؟! فيعود هذا ليخبره أن الفتى متهور مبذر، لأنه اشترى بأكثر من ثلاثين درهماً أطعمة!... ثم إن الفتى يعود بعد أيام الى العباس فيتجهم في وجهه، فيسأله الفتى عن السبب ؟ فيجيبه أنه علم بإسرافه وكان من حق حاله عليه أن يقتصد، وهنا يعترف له الفتى بسبب لجوئه اليه، ليسأل المساعده، فهو قد كان يقلد أباه في الصبر على الفقر والتظاهر باليسر، الى أن أقام جاره أحد التجار الأثرياء ذات يوم وليمة كبرى، فشاعت منها رائحة ألوان الطعام المشتهاه، حتى أخذت صبياته الصغيرات تتشهى هذه الأطعمة، نحو قول الواحده للأخرى:" رائحة جدي

يشوى"رائحة نقانق تقلى" و"أ شتهي من هذا الفالوذج الذي شاعت رائحته لقمة".

وقد كان الأب يتمنى على هذا التاجر أو يأمل منه أن يرسل الى بيته بعض هذه الأطعمه و يدعوه، ولكنه تجاهله تجاهلاً تاما، ملأ نفسه بالحزن والهم، ودفعه الى أن يتخلى عن تعففه وتظاهره بالغنى، فدفعه تأثره لصبياته الى أن يقصد الى العباس سائلاً العون، غير مبال بذل السؤال وعزة النفس، ولذا فحين اعطاه ما أعطى، اشترى منه بثلاثين درهماً، حتى يعوض أطفاله عما اشتهوه من الوليمة وحتى يشعرهم انه قد أولم لهم.

أما اللغه في الحكاية فهي جزلة الألفاظ، وأما الأسلوب فيها فيميل الى الأسلوب المرسل، وهو اسلوب قريب من الأسلوب الذي كان شائعاً في القرن الثاني والثالث الهجريين، كأسلوب ابن المقفع والجاحظ، وآية هذا ان الحكاية بعيدة عن المحسنات البديعية، مع أن المؤلف عاش في القرن الربع للهجرة، عصر اسلوب البديع، الذي ظهر في كتابات بعض الكتاب، من امثال أبن العميد والصاحب بن عباد وبديع الزمان للهمذاني، ... وقد نتساءل عن السبب في ميل ابن الداية الى هذا الأسلوب، وعدم تأثره بأسلوب عصره، فنعلل هذا بأنه عاش في مصر بعيداً عن بلاد فارس والعراق، التي شاع منها اسلوب المحسنات البديعية او لعل السبب، لأنه عاش في بداية عصر اسلوب البديع لكنه لم يستسغ هذا الأسلوب مثله مثل ابي حيان التوحيدي، الذي عاش في العراق وفارس، لكنه ظل مخلصاً الى حد كبير لأسلوب استاذه الجاحظ وأمثاله.

وأما الحكاية من الناحية القصصية فتعد من أفضل حكايات كتاب " المكافأة"، وهو كتاب حكايات هادفة لم يعنَ فيها الكاتب بالفن القصصي على نحو ما نجد في حكايات الجاحظ او البديع، وانما صرف همّه الى تصوير الموضوع، الذي أدارها حوله والذي يهدف الى تحبيب عمل الخير إلى الناس، والصبر على الشدة والنوائب، واذن فكتاب" المكافأة" يندرج ضمن كتاب الحكايات، التي دارت حول موضوعات هادفة بأعيانها، نحو كتاب" الفرج بعد الشدة" وكتاب "المستجاد من فعلات الأجواد" للمحسن التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤ للهجرة.

من مقدمة ابن خلدون

فصل في أن الدولة لها أعمار

أعلم ان العمر الطبيعي للأشخاص على مازعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة، وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين. ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات، فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون أعمار بعض أهلها مائة تامة وبعضهم خمسين أو ثمانين او سبعين على ما نقتضيه أدلة القرانات عند الناظرين فيها . أعمار هذه الملة مابين الستين الى السبعين كما في الحديث . ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلافي الصور النادرة وعلى الأوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود، وأما أعمار الدول أيضاً وإنْ كانت تختلف بحسب القرانات، إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال. والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء الى غايته. قال تعالى (حتى إذا بَلَغَ أشُدَّهُ وبلغ أربعين سنه)[٤٨٥] قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيد ما ذكرنا في حكمة التيه الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود في الأربعين فيه فناء الأجيال الحياء ونشأة جيل آخر لمن يعهدوا الذل ولا عرفوه؛ فدل على اعتبار الأربعين في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد.

وانما قلنا إن عمر الدولة لا يعد في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والأشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سورة" العصبية محفوظة فيهم". فحدهم مرهف، وجانهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون، والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفّه من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب، ومن الأشتراك

---

٤٨٥) من آية ١٥ من سورة الأحقاف (سورة ٤٦)

في المجد الى أنفراد الواحد بها وكسل الباقين عن السعي فيها، ومن عز الاستطاله الى ذل الاستكانه فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتؤنس منهم المهانه والخضوع. ويبقى لهم الكثير من ذلك، بما ادركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد ومراميهم في المدافعه والحماية، ،فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية، إن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعه الحوال التي كانت للجيل الأول، أو على ظن من وجودها فيهم وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونه كأن لم تكُن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفنّقوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالا على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعه عنهم، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة، يموّهون بها ، وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها فإذا جاء المُطالب لهم ما يقاوموا مدافعته. فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من هل النجده، ويستكثر بالموالى، ويصطنع من يغني عن الدوله بعض الغناء، حتي يأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت.

فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلفها. وهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان المجد والحساب انما هو في اربعة أباء وقد اتيناك فيها ببرهان طبيعي كاف ظاهر مبنى على ما مهدناه قبل من المقدمات . فتأمله فلن تعدو وجه الحق إن كنت من هل الإنصاف.

وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنه على مامر. ولاتعدو الدول في الغلب هذا العمر بتقريب قبله او بعده، الا أن عرض لهم عارض آخر من فقدان المطالب، فيكون الهرم حالاً مستولياً فالطالب لم يحضرها ولو جاء الطالب لما وجد مدفعاً.(فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيد الى سن الوقوف ثم الى سن جوع. ولهذا يجري على السنه الناس في المشهور أن عمر الدولة مائة سنه وهذا اه . فاعتبروه واتخذوا منه قانوناً يصحح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي ـه من قبل معرفة السنين الماضية إذ كانت قد استربت في عددهم، وكانت نون الماضية منذ اوائلهم مُحَصلّة لديك، فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء؛ نفدت على هذا القياس مع نفود عددهم فهو صحيح، وإن نقصت عنه بجيل غلط عدهم. بزيادة واحدة في عمود النسب، وإن زادت بمثله فقد سقط واحد لك تؤخذ عدد السنين من عددهم إذا كان محصلاً لديك. فتأملة تجده في الغالب حيحاً(والله يقدر الليل ولنهار).

عليق

ابن خلدون وهو اشهر مؤرخ في تاريخنا العربي القديم، ولد ونشأ في بلاد رب، حيث تلقى علوم الفقه والعربية على شيوخ عصره هناك من أمثال ابي كات البلفيقي والشريف السبتي، بدأ شاعراً وناثراً مرسلاً، لكنه أضرب عن عر بعد مده من الزمن(١) ومال الى التاريخ، ولما كان القرن الثامن للهجرة الذي ش فيه عصر انقسام واضطراب وفتن، فقد اضطر الى العيش والتنقّل في اكثر قطر عربي مثل: مصر وسورية، التي وفد اليها بعد أن ذاعت شهرته، ليفاوض " ورلنك" الذي كان يغزوها.

وقد كان ابن خلدون مفكراً ساسياً واجتماعياً رفيع المستوى وسابقاً لعصره ي يعيش منه، وكان على ثقافة غزيرة بالتاريخ، وقبل أن يكتب تاريخه الكبير، أحب يكتب مقدمة له، يوضح فيها منهجه، ويضمنها آراءه الخاصة في فلسفة التاريخ،

انظر: تاريخ النقد الادبي عند العرب " للدكتور احسان عباس ص ٦١٦، ط٢، دار الثقافة ١٩

وكيفية فهمه، فكان أن اشتهرت المقدمة اكثر بكثير من تاريخه نفسه. وقد توفي ابن خلدون سنه ٨٠٨ للهجرة.

واذن فأهمية ابن خلدون تعود الى كتابه المعروف بمقدمته ذلك انه ضمنها كما قلنا خلاصة آرائه ونظرياته في التاريخ وطبيعة احواله، وكيفية فهمه نحو هذه النظريه السابقة، التي يذهب فيها الى أن عمر الدولة في الغالب عند جميع الأمم ثلاثة أجيال، وكل جيل مقداره اربعون سنه، وكل جيل يمثل طوراً مختلفاً من أطوار هذه الدولة، أما الجيل الأول فيمثل طور البداوة وخشونتها، وتوحشها، وما فيها من شظف العيش والبسالة، والافتراس والاشتراك في المجد، وهذا الجيل هو الجيل الأقوى، الذي يغزو الاعداء ويصدهم، ويقهرهم، ويأسس الدولة، فيكون مرهوب الجانب من الشعوب الأخرى... وأما الجيل الثاني فيمثل طور التحول من البداوة والخشونه الى طور الحضارة ومن الشظف الى الترف، ومن اشتراك الجماعة كلها في صنع المجد الى انفراد الحاكم بالسلطان، ومن العزة الى الاستطاله الى الكسل والاستكانه، وفي هذا الطور تخف العصبية القبلية أو الحماية الجماعية فتضعف قوة الجماعة المؤسسة للدولة وحماستها ، وتميل هذه الجماعة الى الخضوع والانصراف الى تحقيق المنافع الذاتية

وأما الجيل الثالث فيمثل طور نسيان عهد البداوة والخشونه ، وفقدان حلاوة العز والإباء وضعف العصبية او الحماية الجماعية وذلك بسبب الانغماس في اللذة والترف، والركون الى الدعة والنعيم، والى الاستسلام الى غضارة العيش ورخاوته، فيكون الشعب عيالاً على الدوله، أي معتمد عليها في تدبير أمور معاشه ، لا يختلف الرجال في هذا عن جمله النساء والولدان المحتاجين الى الدفاع عنهم، حتى إذا غزا هذا الشعب شعب آخر ، لم يقاوموا ، ولم يهبوا للذود عن نفسهم والدفاع عن بلادهم، فينظر الحاكم حينئذ الى الاعتماد على الموالي والمرتزقه من الجنود والموالي فيتسلط هؤلا في النهاية على السلطان، الى أن تنقرض الدولة وتندثر في الجيل الرابع التالي.

وبعد.. فما من شك أن قانون ابن خلدون هذا في تحديد اعمار الدولة، قد جاء نتيجة لتأمله لأحوال الدولة السابقة والمعاصرة له وقد لفته ما هو شائع بين عامة الناس، وهو ان اعمار كل دوله مائة سنة، واللافت في هذا القانون ان ابن خلدون قد تنبه الى ان طور التحول من البداوة الى الحضارة هو طور التحول التاريخي من القوة الى الضعف وأن طور الركون الى اللذة والترف هو طور الانقراض والانتهاء.

ومع أن ابن خلدون قد حدد اعمار كل دولة بمئة وعشرين سنه، فإنه لم يتعسف ويتشدد في هذا التحديد ، بل احتاط لنفسه، إذ ذهب الى أن الدولة قد يطول عمرها اكثر "..إن عرض لها عرض آخر من فقدان المطالب .." أي الغازي، وخير دليل على صحة رأية الدولة العثمانية مثلاً، التي ظهرت بعده ، فقد بدأت حقاً دولة مغوليه بدوية خشنة، ثم تحولت الى الحضارة، وقد بلغت أوج القوة في هذا التطور ، حتى بسطت نفوذها على اكثر العالم الأسلامي وقهرت أوروبا، وفتحت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، ولكنها حين بلغت طورها الثالث، تأخرّ انقراظها، مع أنها بلغت حداً من العنف، حتى سماها اعداؤها الرجل المريض وسبب التأخر في انقراضها يعود الى طمع الأعداء الكثيرين في اقتسام أملاكها، ومحاولتهم تأخير هذا النزاع فيما بينهم على هذا الاقتسام حتى جاء عام ١٩١٤، فنشبت الحرب العالمية الولى ، وكان من نتائجها هزيمة الدول العثمانية، واندثارها، واقتسام املاكها.

أهمية ابن خلدون

ومثل هذه النظرية السابقة في أعمار الدول نجد نظريات وقوانين أخرى مختلفة، قد اودعها ابن خلدون في مقدمته القيمة، وهي خلاصة تأمله لتاريخ المجتمع والعمران البشري ، وقد تنبه الاوروبيون في عصر النهضة الى قيمة آراء ابن خلدون وخطرها وأهميتها، فأعجبوا بصحتها وسبقها، مما اشاع شهرتها عندهم حتى عده بعضهم المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، قبل" أوجست كونت" بقرون.

أين نعلاك ...؟

لطه حسين

كان يوم الأربعاء، وكان صاحبُنا قد قضاه فرحاً مسروراً، زعم لسيدنا أول النهار انه قد أتم الختمة، ثم فرغ بعد ذلك لاستماع القصص والأحاديث، وعبث آخر النهار. فلما انصرف من الكتاب لم يذهب الى البيت، وانما ذهب مع جماعة من أصحابه الى الجامع ليصلي العصر. وكان يحب الذهاب إلى الجامع، والصعود في المنارة، والاشتراك مع المؤذن في التسليم (وهو النداء الذي يلي الأذان الشرعي) ذهب في ذلك اليوم وصعد في المنارة واشترك في الأذان وصلى. وأراد أن يعود الى البيت ولكنه افتقد نعله فلم يجده كان قد وضعها الى جانب المنارة فلما فرغ من الصلاة ذهب يلتمسها فإذا هي سُرِقتْ. احزنه ذلك بعض الشيء ، ولكنه كان فَرِحاً مبتهجاً هذا اليوم، فلم يجزع ولم يقدّر للأمر عاقبة، وعاد الى البيت حافياً، وما كان أبعد المسافة بين البيت والجامع! ولكن ذلك لم يرُعْهُ[١] فكثيراً ما مشى حافياً ودخل البيت ، وإذا الشيخ في المنظره كعادته يدعوه وأين نعلاكَ؟ فيجيب: نسيتُهما في الكتّاب. فلا يحفل الشيخ بهذا الجواب ثم يهمل الصبيّ حيناً ريثما يدخل فيتحدث الى أُمه وإخوته قليلا، ويأكل كسرة من الخبز كان من عادته أن يأكلها متى عاد من الكتّاب، ثم يدعوه الشيخ فيسرع الى إجابته. فإذا استقر به مكانه، قال له ابوه : ماذا تلوت اليوم من القرآن؟ فيُجيب: خَتْمتُهُ وتلوتُ الأجزاء الستّة الأخيرة. قال الشيخ: ومازلت تحفظُهُ حفظاً جيداً؟ قال نعم. قال الشيخ: فاقرأ لي سورة سبأ وكان صاحبنا قد نسي سورة سبأ، كما نسي غيرُها مِنْ السور، فلم يفتح الله عليه بحرف. قال الشيخ في هدوء وسخريه: وقد زعمت أنك مازلت تحفظُ القرآن! فاقرأ

---

(١): لم يفزعه ولم يُخفه

رة يس. ففتح الله عليه بالآيات الأولى من السورة، ولكن لسانه لم يلبث أن انعقد، قهُ لم يلبث أنهُ جف وأخذته رعدة مُنكره تصبَّب عَلَى أثرها في وجهه عرَقٌ باد.
، الشيخ في هدوء : قُم واجتهد في أن تنسى نعليك كل يوم، فما ري إلا أنك عتهما كما أضعت القرآن، ولكن لي مع سيدُك شأناً آخر .

خرج صاحبنا من المنظرة مُنَكسَ الرأس مضطرباً يتعثرُ ، ومضى في طريقه ى وصل الي الكَرَار (والكرار: حجرة في البيت كانت تدخر فيها ألوان الطعام، ان يُربى فيها الحمام)، وكانت في زاوية من زواياها القُرمْه(وهي قطعة ضخمة يضة من الخشب كأنها جذعُ شجره) كانت أُمُه تُقطع عليهما اللحم وكانت تَدَعُ ى هذه القرمه طائفة من السكاكين، منها الطويل، ومنها القصير، ومنها الثقيل نها الخفيف.

ومضى صاحبنا حتى وصل الى الكَرَار وانعطف الى شدة الزاوية التي فيها رمة وأهوى إلى الساطور، وهو أغلظ ما كان عليه من سكين واحده وأثقلها، فأخذه ناه وأهوى بها الى قفاه ضرباً ! ثم صاح ، وسقط الساطور من يده. وكانت أمه يبه منه لم تَحْفِل به حينما مرٌ بها، فإذا هو واقف يضطرب والدم يسيل من قفاه، ساطور ملقى الى جانبه... وما أسْرَعَ ما ألقت أمُه نظرةً الى الْجُرْح! وما أسرع عرفت أنه ليس شيئاً! وما هي إلاّ أن انهالت عليه شتماً وتأنيباً، ثم جذبتهُ من دى يديه حتى انتهت به الى زاوية من زواية المطبخ فألقتهُ فيه القاءً، وانصرفت الى لها . ولبث صاحبنا في مكانه لا يتحرٌك ولا يتكلّم ولا يبكي ولا يفكر كأنه لا شيء، خوته وخواته من حوله يضطربون ويلعبون لا يحفلون به ولا يلتفت هو إليهم.

وقَرُبت المغرب، وإذا هو يُدْعى ليجيب أباه فخرج خزْيان متعثراً حتى انتهى ى المنظره . فلم يسأل ابوه عن شيء ، وانما ابتدره سيدنا بهذا السؤال : ألم رأ عليٌ الأجزاء الستّة من القرآن؟ قال بلى . قال: ألم تقرأ أمس سورة سبأ ؟ ل: بلى قال: فما بالك لم تستطع أن تقرأها اليوم؟ فلم يجب قال سيدنا: فاقرأ

سورة سبأ فلم يفتح الله عليه منها بحرف قال ابوه: فاقرأ السجْده، فلم يُحسن شيئاً و هنا اشتدَّ غضب الشيخ، ولكن على سيدنا لا على الصبيِّ قال : وإذن فهو يذهب إلى الكتّاب لا ليقرأ ولا ليحفَظ ، ولا لتُعنى به او تلتفت اليه، وانما هو لعب وعَبَثٌ! لقد عاد اليوم حافياً! وزعم أنه نسي نعليه في الكتّاب.. وما أظنّ عنايتك بحفظ للقرآن الا كعنايتك بمشيه حافياً أو ناعلاً...

قال سيدنا: أقسمُ بالله العظيم ثلاثاً ما أهملته يوماً . ولولا أني خرجتُ اليوم من الكتّاب قبل انصراف الصبيان لما رجع حافياً وإنه ليقرأ عليّ القرآن مَرةً في كل اسبوع قل الشيخ لا أصدق قال سيدنا افتطن: أن ما تدفع إليَّ في كل شهر أحب ألي من امرأتي ! أم تظنّ أني في سبيل ما تدفع الى أستحل الحرام وأعيش مع امرأةٍ طلقتها ثلاثاً بين يديك ؟ قال الشيخ ذلك شيء لا شأن لي به ، ولكنْ هذا الصبي لن يذهب إلى الكتّاب منذ غد: ثم نَهض فانصَرف، ونهض سيّدنا فانصرفَ كئيباً محزوناً. وظل صاحبنا في مكانه لا يفكر في القرآن ولا فيما كان، وإنما يفكر في مقْدرة سيّدنا على الكذب، وفي هذا الطلاق المثّلث الذي ألقاه كما يُلقي سيجارته متى فرغ من تدخينها!

ولم يظْهرَ الصبي في هذه الليلة على المائدة، ومكث ثلاثة أيام يتجنّب مجلس ابيه ويتجنب المائدة. حى إذا كان اليوم الرابع دخل ابوه عليه في المطبخ حيث كان يحب أن ينزوي الى جانب الفُرْن ؛ فما زال يُكلِّمه في دُعابه وعطف ورفق حتى أنِسَ الصبيُ إليه، وانطلق وجههُ بعد عبوسه وأخذ أبوه بيده فأجلسه مكانه من المائدة، وعُني به أثناء الغداء عنايةً خاصة. حتى إذا فرغ الصبي من طعامه ونهض لينصرف قال ابوه هذه الجمله في مُزاح قاسٍ لم ينسَه قط ، لأنه أضحك منه إخوته جميعاً ، ولأنهم حفظوها له، وأخذوا يغيضونَه بها من حين إلى حين- قال له:" أحَفظت القرآن ؟!"

تعليق

طه حسين أديب مصري معاصر واسع الشهرة، ولد في احدى قرى الصعيد، م ١٨٨٩، وفي بداية طفوله اصيب برمد في عينيه، فلجأت امه الى الطب الشعبي شائع يومذاك، مما ادى به الى العمى ، بسبب سوء المعالجة ، لكن اباه حرص على ليمه فأرسله في طفولته الى (الكتّاب)[1] ثم ارسله الى الأزهر في عام ١٩٠٢، كمال تعليمه الديني لكن طه بعد أن قضى في الأزهر، سنوات ، تحوّل عنه الى جامعة المصرية الأهلية عام ١٩٠٨، فتخرج فيها عام ١٩١٤، وحصل منها على رجة الدكتوراه في الأدب برسالة عن ابي العلاء المعري فتفوق على اقرانه، ثم رسلته الجامعة في بعثه الى فرنسا حيث تخرج في جامعة السوربون وحصل على رجة الدكتوراه في علم الاجتماع برسالة عن ابن خلدون، وفضلاً عن هذا، حصل لى الليسانس في التاريخ ودبلوم الدراسات العليا.

وحين عاد الى مصر شارك مشاركة فعالة في حياته الثقافية، وشغل مناصب الية منها عميد كلية الأدب في جامعة القاهرة، ورئيس جامعة الأسكندرية، ووزير لمعارف، وقد ألف كتباً كثيرة منها ما هو في الأدب والنقد مثل ..(في الأدب لجاهلي) و(حديث الأربعاء)، .. ومنها ماهو في القصة، مثل: (دعاء الكروان) و شجرة البؤس).. ومنها ماهو في السيرة الأسلامية، مثل :(عثمان)و (علي وبنوه) .

ومنها ما هو في علم الاجتماع، مثل : (نظام الأثينيين) ومنها ما هو في لتربية)، مثل:(مستقبل الثقافة في مصر) ويعد طه حسين من ابرز مفكري عصر لنهضة الحديثة إن لم يكن أبرزهم جميعاً.

أما مقطوعة (أين نعلاك) ففيها يصور الكاتب موقفاً محرجاً من ماضي طفولته، إذا كان صبياً يدرس في (الكتّاب) ولكن الشيخ كان يهمل تعليمه بين حين

---

١) الكتّاب : لفظه تطلق في مصر على المكان الذي كان الشيخ يقوم فيه بتعليم الصبيه قبل ظهور المدارس الحديثة.

وحين، ويكل ذلك الى (العريف) الذي كان يُهمله بدوره ، وكان هو بسبب صغر سنه وعدم وعيه يستريح الى هذا الإهمال لأنه يتيح له اللعب والعبث، حتى إذا عاد ذات يوم حافياً، وإذا أبوه يسأله عن نعليه : .. وإذا هو يمتحنه في حفظه القران، وحين يتحقق من أنه نسيه، بعد أن كان قد تيقن في مرة سابقة من حفظه له، هناك يظهر الأب للطفل اللوم والتأنيب، ولكنه يصبّ جام غضبه على الشيخ (سيدنا) ، الذي كان قد طلب اليه قبل هذا أن يعُنى بتعليم أبنه، ولكن الشيخ يحاول التملّص منه خلال الإدعاء بأنه لم يهمله مؤكدا هذا بالإيمان الكاذبة والباطلة .

والقطعة مأخوذة من كتاب (الأيام) الجزء الأول ، وهو كتاب وضعه طه حسين بعد الأزمه التي نجمت من ظهور كتابه(في الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٦، ومع أنه ألفه خلال شهر واحد فإنه قد نجح نجاحاً منقطع النظير، وفيه يصور طفولته الأولى بين أهله وفي بيئة قريته، وفي كتاب(الشيخ) خاصة، وقد شجعه هذا النجاح على اصدار الجزء الثاني ثم الثالث، من الكتاب، ليصور فيهم مراحل لاحقة من حياته، فكان أن وضع في النهاية أشهر سيره ذاتيه في الأدب العربي الحديث كله لأنه عمد فيها الى الجرأة في سرد الواقع، والى أسلوب البوح والأعتراف حتى بالأخطاء، وهو ما عُدّ فتحاً جديداً في كتابه السيره الذاتيه يوم ذاك.

وقد نجح الكتاب وتوالت طبعاته على مر السنين ، حتى تجاوزت ثمانين طبعة! واشتهر عالمياً وترجم الى لغات كثيرة حتى اشرف على الترجمه الفرنسية الكاتب العالمي الشهير (أندريه جيد).

أما مقطوعة(أين نعليك) فهي تقدم من ناحية عامة صورة بعينها لأسلوب التعليم القديم، الذي كان شائعاً في نهاية القرن الماضي، قبيل ظهور المدارس الحديثة، وهو أسلوب يُعد امتداداً لأساليب التعليم العربية القديمة، التي سادت طوال ستة قرون من عصور الظلام والانحطاط.

وأما من ناحية خاصة فتقدم المقطوعة صوره حيه من لحظات طفولة طه

حسين البائسة وتبين مدى حرص ابيه على العناية بتعليمه فلو انه كان قد أهمله بسبب آفة العمى لضاعت مواهبه وعبقريته، ولما كان أهدى لهذا العصر أبرز كتابه ومفكريه ذلك أن طه حسين صريح خلال كتابه في أن اباه هو الذي قد ملأ نفسه شَغَفاً بالعلم وإذن فهو سر ابيه، الذي أنشأه وهو فتى على عادة حب الدرس والطلب، فصدق فيه لهذا قول الشاعر.

وينشأ ناشئة الفتيان منّا على ماكـــان عوّده ابـــوه.

****

كذا أنا يادنيا

للمتنبي

ألا لا أري الأحداثَ مدحاً ولا ذمّا ... فما بَطشُها جهلاً ولا كفُّها حلماً
الى مثلِ ما كان الفتى مرجعُ الفتى ... يعودُ كما ابْدِي ويكري كما أرْمَى[1]
لك اللهُ من مفْجُوعةٍ بحبيبها ... قتيلةِ شوقٍ غيرَ ملْحقها وَصْماً
أحنّ إلى الكأس التي شربتْ بها ... وأهوى لمثواها الترابَ وما ضمّا.
بكيْتُ عليها خيفةً في حياتها ... وذاقَ كلانا ثكلَ صاحبه قدْما!
عرفتُ الليالي قبلَ ما صنعتْ بنا ... فلمّا دهتْني لم تزدْني بها علْماً
أتاها كتابي بعدَ يأسٍ وترحةٍ ... فماتت سروراً بي فمُتُّ بها غمّا
حرام على قلبي السّرورُ فإنني ... أعدُّ الذي ماتت به بعدَها سمّا
تعجّبتُ من لفْظي و خطّي كأنما ... ترى بحروفِ السطرِ أغربه عُصْماً[1]
وتلْثمُهُ حتى أصارَ مدادُهُ ... محاجرَ عيْنيْها وأنيابَها سُحْماً
طلبْتُ أستسقي الغمامَ لقبرها ... وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصمّا
وكنت قُبيلَ الموْت أستعظمُ النّوى ... فقد صارتَ الصغرى التي كانت العظمى
هبيني أخذتُ الثأرَ فيكَ منَ العدَى ... فكيف بأخذِ الثأر فيك من الحُمى.
وما انسدتِ الدّنْيا علي لضيقِها ... ولكن طرفا لا راك به أعمى
فوَا أسفا ألاّ أكبّ مُقبّلاً ... لرأسكَ والصدْرِ اللّذين قدْ مُلئا حزما

---

(١) الإدبداء الخلق وأصله بالهمزه فلينه للضرورة. وأكرى الشيء، نقص. وأرمى زاد. يقول: إن كل احد يرجع إلى مثل حالته التي كان عليها قبل وجوده فيعود إلى عناصره الأولى كما خلق منها وينقص ماحدث فيه من الحياة كما زاد.

(١) ألعصم مفددها اعصم ، وهو الذي في جناحه بياض

وألا ألاقي روحك الطيّبَ الــــذي كأن ذكي المســك كــانَ له جسمــاً

ولو لمْ تكُوني بنت أكْرم والـــد لكان أباك الضــخْم كونُكِ لــي أمــا

لئن لَذّ يومُ الشّامتــينَ بيــومهــاً لَقَدْ وَلَدَتْ مني لأنفــهم رغـمــاً

تغربَ لا مُستعظماً غير نَفْســه ولا قابلاً إلا الخالقــة حكمــاً

ولا سالكـــاً الا فُؤادَ عَجاجــةٍ[1] ولا واجــداً إلا لمكْرُمَةٍ طعمــاً

يقولونَ لي ماأنــتَ في كلّ بَلدةٍ وما تبتغي ؟ ما أبتغي جلّ أن يُسمى

كأن بنيهم عـــالمُونَ بأنّنــي جلُوبٌ إليهِمْ منْ مَعادِنــه اليُتْمــاً

وما الجَمْعُ بَينَ الماء والنّار في يـدي بأصعَبَ من أنْ أجمع الجدّ[2] والفهــما

وإنّي لمنْ قَوْمٍ كــأنّ نُفُوسَهُـم بها أنَفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمــاً.

كذا أنا يادُنْي إذا شئْت فــاذْهَبي ويانَفس زيدي في كرائهها[1] قُدْمــا

فلا عَبَرتْ بي ساعَةٌ لا تُعِزّنــي ولاصَحبتْني مُهجَةٌ تقبل الظلْمــا

تعليق

المتنبي هو احمد بن الحسين الجعفي الكندي ، من بني جعفى من سعد العشيرة أي من القبائل القحطانية، وكنيته أبو الطيب، ولقبه المتنبي ولد في الكوفة سنه:٣٠٣هـ، ونشأ وترعرع في البادية والشام نشأة رياضية سليمة. ولسانية فصيحة ، وحين شبّ أصبح شاعراً جوّالا يطمح الى السيادة، ويشترك في الحروب، وكان في شعره شديد الاعتزاز بنفسه، ويصور أنفه العربي الفارس، وإباءه الضيم، وقد توفي قرب بغداد، بينما كان راجعاً من بلاد فارس، إذ باغته فاتك الأسدي عند

---

(١) العجاجة: الغبار والمقصود غبار الحرب

(٢) الجد: الحظ ، الأنف : الاستكبار

(١) كرائهها : جمع كريهة وهي الحرب.

دير." العاقول" ومعه زمرة من الأعراب ، فقتله وقتل ابنه" محسّداً" وغلامة "مفلحا"، وذلك سنه ٣٥٤هـ.

أما الابيات السابقة فهي مختارة من قصيدة رثى المتنبي فيها جدته، التي توفيت بينما ظروفه تضطره الى التغرب عنها، والى أن يضرب في الآفاق ، وقد كانت عزيزة على قلبه، أثيره لديه، ذلك أنها ربّته صغيراً، بعد أن ماتت والدته وهو طفل، ولذا كان يعدها أمه، التي لم يذكر في شعره سواها، وهذا واضح في قوله

ولو لـــم تكوني بنــت اكـــرم والـــــد

لكان أبوك الضخم كونك لي أماً

وعاطفة الحزن في أبيات الرثاء، تبدو لنا قوية جياشة ، وصادقة مؤثرة، وتبلغ الذروة في هذا التأثير، إذ يقول مخاطباً إياها .

وما انســدت الدنيــا عليّ لضيقهــا

ولكن طَرْفــاً لا أراك بـــــــه أعمى

ويلاحظ أن اكثر ما يؤلم المتنبي في هذا الحزن الممض، أن جدته البعيدة عنه، قد ماتت شوقاً الى رؤيته، وسروراً بوصول رسالة منه اليها، ويعترف لنا في معرض هذا الرثاء أنه كان في حياتها يستعظم النوى عنها، ويعتدّها مشكلة كبرى، ولكن هذه المشكلة قد غدت صغرى بالقياس الى مشكلة رحيلها الأبدي عنه، ثم يعرض لأسباب هذا التغرّب القاسي الذي فرضه على نفسه، أو فرضته الظروف عليه، منذ مطلع شبابه ، أومطلع سنوات اليفاع الأولى، حين غادر الكوفة، وطوّف الأقطار، فيبين أن في طليعة هذه الاسباب إباءه للضيم، وتمرده أو رفضه أن يسلس القياد لمن يراهم يحكمون وهم دونه:

تغرب لامستعظماً غير نفســـه

ولا قابلاً الا لخالقــه حكمــا

ذلك أنه وهو العربي الأبي، قد كان يأنف أن يخضع لحكم أولئك الأعاجم من غير العرب الذين تسلطوا على الخلافة العباسية في زمانه، وقسموها إمارات وأقطاراً، ويبلغ المتنبي ذروة البلاغة في تصوير أنفته، بل أنفة العربي الأبي، في بيت لايفوقه بيت شعر في تصوير المعنى نفسه، إذ يقول:

وإني لمن قوم كأن نفوسهـــــم

بها أنفٌ أن تسكن اللحـــم والعظمـــا

اما من الناحية الفنية فيبدو لنا ابو الطيب في ابياته موهوباً متمكناً من فنه، إذ تتجلى شاعريته في أجلى صورة وأبلغها وآية هذا أن هذه الابيات مازالت تعجبنا، وتؤثر فينا وتدفعنا الى حفظها، مع انها قيلت منذ اكثر من ألف سنه، وذلك لِنتمثّل ببعضها عند فقدان عزيز، او لنردد بعضها عند الاغتراب ، أو في معرض تعبيرنا عن ميلنا الى العزّة والحرية، وإحساسنا بالأنفة والإباء، ولا غَرو في هذا فالمتنبي هو اكثر شاعر رددت الأجيال حكمه، حتى سارت بعض أبياته على السنة عامة الناس كالأمثال، وقد وُصِف في القديم بأنه "مالىء الدنيا وشاغل الناس" وقال عنه الواحدي: "... إن الناس من عصر قديم، وقد ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر ابي الطيب المتنبي." ومع أن ثمة من يرى أن المتنبي كان مغروراً ، فالراجح أنه كان حلو الشمائل، قويم الأخلاق، وأنه كان صادقاً في التعبير عمّا في نفسه، ولكن عصره كان عصر فساد وحسد وانحلال، وهذا سر تذمره من هذا العصر وأهله، وهو ما وقع لأبي حيان لتوحيدي بعده بقليل و قد شهد للمتنبي بهذا الذين خالطوه مخالطة وثيقة ، مثل العالم اللغوي الشهير ابن جني، إذ نجده يصفه بقوله" حقاً أقول، لقد شاهدته على خلق، قلّ ما تكامل إلاّ لِعالم موفق"[1].

(١) شرح ابن جني، ط٢-جـ١- تحقيق د. صفاء خلوصي

المصادر والمراجع

أ. المصادر :

* الأشموني، منهج السالك الى ألفية ابن مالك، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٥.

* ابن جنيّ، ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق وتعليق د. صفاء خلوصي، وزارة الثقافة ، بغداد، ١٩٨٨.

* ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي – القاهرة ١٩٦٠.

* ابن الداية ، المكافأة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية ، بيروت.

* ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت.

* ابن هشام :

– اوضح المسالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار احياء التراث ط٥ – بيروت–١٩٦٦.

– شذور الذهب، مطبعة السعادة، ط١٠، ١٩٦٥.

– مغني اللبيب، مطبعة المدني– القاهرة (د.ت) .

* البيهقي ، المحاسن والمساوئ، مطبعة السعادة القاهرة – ١٩٠٦م.

* الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت.

* الجاحظ (عمرو بن بحر)

– البيان والتبيين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة ١٩٤٨.

– الحيوان ، مكتبة البابي الحلبي وأولاده – القاهرة ١٩٣٨.

* الزوزني، المعلقات السبع، دار القاموس الحديث، بيروت (د.ت).

* الفيروز ابادي ، القاموس المحيط، دار الجيل، المؤسسة العربية للنشر،

* المبرد (أبو العباس) الكامل، تحقيق لجنة من الأساتذة- مكتبة المعارف بيروت- ١٩٧٥ .
* المتنبي، ديوانه، شرح عبد الرحمن البرقوقي، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت.
* الهمذاني (بديع الزمان)، مقاماته، شرح الشيخ محمد عبده- المطبعة الكاثوليكية-بيروت- ١٩٨٩ .

ب. المراجع

* ابراهيم السامرائي :
- التكملة للمعاجم العربية، دار الفرقان- عمان، ١٩٨٦
- من بديع لغة التنزيل، دار الفرقان- عمان- ١٩٨٤
* د. ابراهيم السعافين، أصول المقامات، دار المناهل- بيروت -١٩٨٧ .
* د. احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب. دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٨.
* د. توفيق ابو الرب، مختارات من النثر العربي القديم، دار الأمل - اربد - ١٩٩٠.
* عباس العقاد، الفلسفة القرآنية، دار الكاتب العربي، ط٢- بيروت، ١٩٦٩ .
* طه حسين، الأيام، ط ٢٦، دار المعارف، القاهرة .
* محمد الدروبي و د. توفيق ابو الرب وزملاؤهما، الميسّر في اللغة العربية ، دار الأمل - اربد -١٩٩٠ .
* المنجد في اللغة والأعلام ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت .



نبذة عن الكاتب

الاستاذ الدكتور توفيق ابو الرب

ولد الدكتور توفيق أبو الرب في بلدة كفرة / قضاء بيسان في فلسطين عام ١٩٤٧م .

* هاجر أهله بعد النكبة إلى مدينة إربد شمال الأردن واستقروا فيها.
* أنهى تعليمه الثانوي في مدرسة حسن كامل الصباح عام ١٩٦٦م .
* حصل على درجة الليسانس في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية .
* حصل على الماجستير في الأدب العربي من جامعة اليرموك .
* حصل على شهادة الدكتوراة في الأدب العربي من الجامعة الأردنية عام ١٩٨٨م .
* عمل مدرسا في مدارس وزارة التربية والتعليم الأردنية ثم مدرسا في كلية حوارة وكلية تأهيل المعلمين العالية .
* عمل أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية في جامعة إربد الأهلية.
* صدر له حوالي ١٧ كتابا في الشعر والرواية والنقد ومنها : دراسات في الفلكلور الأردني ، قراءات في الأدب الأردني ، طوبى للمتسلقين ، محاورات طه حسين ،حكايات جندب اليعربي ، حكايات حمدي الإربدي ، أوبريت صرخة القدس .
* الدكتور توفيق شخصية موسوعية فهو أكاديمي وقاص وروائي وشاعر وناقد .
* عضو رابطة الكتاب الأردنيين منذ تأسيسها .
* توفي في إربد عام ٢٠٢١ م .

رحمه الله وغفر له.





ISBN: 978-3-12579-177-0
9 783125 791770